وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 2801202323004688829

رقم التسجيل: ط2: 2801202323085094974

الإنتماء في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني -أنموذجا-

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

– صبرينة بشيري.

– حكيمة بشيري.

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د. أحمد أمين بوضياف	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
2	د. عبد الكريم معمري	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. عمر عليوي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445/1444هـ – 2024/2023م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، و لإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذنا المشرف **(عبد الكريم معمري)** منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربنا فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

مقدمة

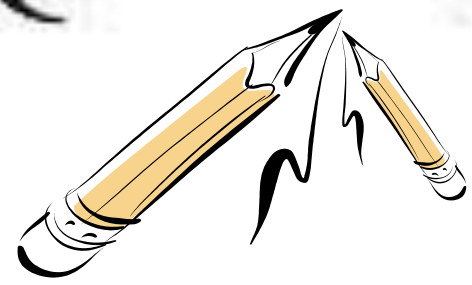

مقدمة:

منذ أن ظهر الإنسان في هذا الوجود بدأ يعبر عن حقيقة وجوده تعبيرا اجتماعيا، وكان هذا المنزع الإنساني دافعاً إلى الولوج في سلوك اجتماعي، قدم من خلاله تنازلات فردية لصالح الجماعة التي ينتمي إليها.

ومع التطور الاجتماعي للبشرية، اتسعت ظاهرة الانتماء فشملت أطراً جديدة كالعشيرة والقبيلة والأمة، وجمعت بين هذه الأطر الاجتماعية روابط مهمة ولدت ونمت على أرض عاشوا فيها والفوها، فتمسكوا بها، لأنها الحيز المكاني الذي شهد مسيرة السلف والخلف وهذه الدعامة الأساسية من دعائم الأمة وموطن استقرارها وتطورها.

ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا لموضوع: "**الإنتماء في رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني أنموذجا**" ليكون موضوع بحثي.

وهناك أسباب أخرى وراء اختيارنا لهذا الموضوع وهي كالآتي:

– رغبتنا في تأكيد الثقة بأصالة الانتماء العربي، في ظل العولمة المستنزفة لمعالم الهوية والقومية.

– تقديم دراسة علمية جديدة للطلبة، تدعم مراجع المكتبة الجامعية.

– قلة الدراسات التي تناولت الحديث عن الانتماء بخصوصيته المتشعبة، وهذه الأسباب دفعتنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها مثل:

ما هو الانتماء؟ وما هي أنواعه؟ وما هي أبرز مظاهره في الرواية؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية كانت الخطة كالآتي:

مقدمة ومدخل، وفصلين، وخاتمة.

جاء **الفصل الأول** المعنون بـ: "**ضبط المفاهيم والمصطلحات**" تطرقنا إلى اشكالية مصطلح الانتماء لغة واصطلاحًا، ثم حددنا أنواعه من الوطني والسياسي، الديني والنفسي والفلسفي كما تحدثنا عن أهم مظاهره المتمثلة في الحب والحنين إلى الأوطان والاغتراب.

وأما **الفصل الثاني** المعنون بـ: "**صورة الانتماء في رواية عائد إلى حيفاء**"، فقد كان تطبيقيا، وفيه حاولنا أن نبرز أهم تمظهرات الانتماء وأنواعه في الرواية المذكورة وأعقبنا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج حول هذه الدراسة.

وكان المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الاجتماعي باعتبار الدراسة قد ركزنا على موضوع الانتماء الذي يعد ظاهرة اجتماعية متصلة بوجود الفرد وعلاقاته مع البيئة والمحيط العام والخاص، إضافة إلى الاستعانة بالمنهج التاريخي مستخدمين آليتي التحليل والوصف.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي في إعداد هذا البحث من بينها:

- كتاب الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال لغسان كنفاني.
- كتاب الانتماء في الشعر الجاهلي لفاروق أحمد سليم.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في قلة المصادر والمراجع، وعدم توفر كثير من الدراسات حول هذا الموضوع وعلى الرغم من ذلك نحمد الله عز وجل على تجاوزنا لهذه الصعاب وإتمام البحث في الوقت المطلوب رغم ضيق الوقت.

وفي الأخير نتقدم بخالص الشكر للأستاذ المشرف "**عبد الكريم معمري**" الذي لولا توجيهاته وتشجيعاته لما كان هذا البحث بهذه الصورة، كما نتوجه بالشكر لأعضاء اللجنة المناقشة وإلى أساتذة اللغة والأدب العربي، كما لا ننسى كل من تعلمنا منهم عبر مراحلنا التعليمية المختلفة، ويعد هذا البحث محاولة، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأت فمن أنفسنا.

الفصل الأول

ضبط المفاهيم والمصطلحات

أولا: مفهوم الانتماء

ثانيا: أنواع الانتماء

ثالثا: مظاهر الانتماء

رابعا: عناصر الانتماء

خامسا: مظاهر الانتماء

أولا: مفهوم الانتماء.

1- لغة:

من النماء أي الزيادة والارتفاع والعلو في المنزلة وهو السمو والانتساب.[1]

ونمي الإنسان أي سمن والنامية من الإبل أي السمينة ويقال انتمى فلان فوق الوسادة أي ارتفع.[2]

ويرجع مختار الصحاح الانتماء إلى أصل الفعل (نمي)، ويقال نمي الحديث إلى فلان أي أسنده له ،ورفعه ونمي الرجل إلى أبيه أي نسبه، وانتمي هو انتسب، وقال الأصمعي نميت الحديث مخففا، أي أبلغته على وجه الإصلاح.[3]

وقد اتفق معه في المعنى نفس معجم لسان العرب الذي يرده إلى الفعل نما، والنماء بمعنى الزيادة، وأنميته أي عزوته ونسبته وانتمى هو إليه، انتسب، وفي الحديث انتمي إلى غير مواليه، أي انتسب إليهم ومال وصار معروفا لهم، ويقال نماه إلى جده، ارتفع إليه في النسب، أي رفع إليه نسبه.[4]

فالانتماء في اللغة هو الانتساب إلى الجذر العائلي مع معرفة الخاص من العام على وجه الرفعة والسمو.

ب- اصطلاحا:

قد تعددت مفاهيمه عند الباحثين على حسب اختلاف مشاربهم، ومذاهبهم الفكرية:

فمنهم من يعرفه بأنه « حاجة الإنسان إلى الارتباط بالآخرين وتوحده معهم، ليحظى بالقبول وليس بكونه فردا يستحوذ على مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي، وتتمثل أوجه الانتماء في ارتباط الفرد بوطنه الذي يحيا فيه، وبمن يقيمون في هذا الوطن، والذين يمثلون

---

[1] لويس معلوف ، المنجد في اللغة والإعلام، نط، دار المشرق لبنان 1968م، ص 200، مادة نمى

[2] جمال الدين محمد ابن مكرم، ابن منظور: "لسان العرب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م، ص364 ، مادة نمى.

[3] أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 120، مادة نمي.

[4] ابن منظور: "لسان العرب" ص 260 مادة نمي

أفراد مجتمعه، ثم انتماءه إلى مجموعة من القيم والأفكار والمعايير، التي تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات».[1]

ومنهم من عرفه بأنه: « ارتباط داخلي وخارجي للفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، فالارتباط الداخلي يعني قوة العاطفة التي تربط الفرد بمجتمعه ارتباطا وثيقا في مجالات الانتماء المتنوعة (الوطنية والدينية والسياسية والقومية والارتباط الخارجي يتمثل في كافة النواحي الشكلية المنعكسة من الارتباط الداخلي على سلوك الفرد وتصرفاته».[2]

وعرفه آخر بأنه: «الاعتزاز والفخر والعمل الجاد الدعوب من أجل الصالح العام وهو الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكرا ،وعملا وهو تربية الضمير حيا في نفس المواطن كلما كان انتماءه عميقا وحقيقيا».[3]

وفي الأخير يعرفه فاروق أحمد سليم بأنه: «ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زمانا ومكانا بعلاقات تشعرهم بوحدتهم وبتمايزهم تمايزا يمنحهم حقوقا ويحتم عليهم واجبات وهو متطور بالإرادة الإنسانية الباحثة عن الأفضل تطورا ينوع ويوسع ويربط دوائره بالحذف والإضافة، وليس بالإلغاء ولا بالخلق الجديد»[4]

فمن خلال هذه التعريفات نستنتج بأن:

- الانتماء حاجة من الحاجات الإنسانية الضرورية التي تشعر المنتمي بالراحة والطمأنينة والتي تولد شعور داخل الفرد، بضرورة وجود علاقة بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه ويتعاطى معه.
- تعدد مجالات الانتماء بين العامة والخاصة (وطن، دين أسرة).
- الانتماء متطور بتطوير الحاجة الإنسانية التي تبحث عن الأفضل دائما.
- لا يبقى الشعور بالانتماء مقيدا، بل يترجم على شكل أقوال أو أفعال وسلوكيات.

---

[1] ديب أبو لطيف: الوعي والانتماء"، نط مطبعة الصباح، دمشق، 1982م، ص 20.

[2] عبد الرحمان أحمد عبد الله القصيحة مستوى اكتساب بعض المفاهيم التاريخية الفلسطينية لدى طلبة الصف التاسع أساسي وعلاقته بانتمائهم الوطني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية غزة 2000م، من 43.

[3] المرجع نفسه، ن ص.

[4] فاروق أحمد سليم: " الانتماء في الشعر الجاهلي"، نط منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص14.

فالانتماء هو الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكرا وتجسده الجوارح عملا، ويكون الانتماء للدين بالإلتزام بتعليماته والثبات على منهجه، أما بالنسبة للوطن الذي يعني الشعب والأرض فيجسد بالتضحية من أجلهما، تضحية نابعة من شعوره بحب ذلك الوطن وشعبه.

ثانيا: أنواع الانتماء.

1- الانتماء الوطني والسياسي:

عرف على أنه شعور ذاتي لدى المواطن يدرك من خلال أنه جزء من هذا الوطن، ينتمي إليه بحكم الميلاد، وتجمعه بأهله بروابط وثيقة أبرزها رابطة الانتماء بالعقيدة ورابطة الجنس والمصالح المشتركة، هذه المصالح المشتركة أو الحياة المشتركة أو الحياة المشتركة في إطار الجماعة تقتضي تشكيل وحدة سياسية متكاملة لها قياداتها ومؤسساتها وهي ما تسمى بالدولة ولها تعبير قانوني ومادي يرتبط بالماضي ويتصل بالحاضر ويتطلع إلى الانتماء إلى الوطن، لأنه يدرك أهمية هذا الارتباط.

وإن كل ما فيه خير للوطن وصالح للمواطن هو في الحقيقة خير له وفي صالح أهله وذريته من بعد وفي المقابل فإن كل ما يسيء إلى وطنه يسيء في الوقت نفسه إليه وإلى وذريته من بعده [1]

ومن هنا تبرز العلاقة بين الوعي والانتماء من خلال إسهام الوعي في تعميق الانتماء في فكر وسلوك المنتمين، هو وعي تمليه ضرورات قومية وفكرية وسياسية، حيث يشكل غيابه ضياع الانتماء والمنتمين والانتماء لا يمكن إدراكه إلا بالوعي ولذلك فإن الوعي والانتماء ينعكسان في السلوك الاجتماعي والسياسي والوعي أشمل من الانتماء.[2]

2- الانتماء الديني:

تشكل العقيدة فيه الأساس والمنطلق، فعلى أرض الوطن يقيم المرء شعائر دينية والدين علاقة بين الإنسان وخالقه الذي يعبده، وتنعكس في معتقداته وسلوكه مع نفسه والآخرين مع أهله وعشيرته.

---

[1] ينظر ، حسام سويلم: " الانتماء الوطني"، مقال مجلة العربي، العدد 446، الكويت، ص 25- 36.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 37.

ومن الثابت تاريخيا أن الأنبياء لم يفرطو على أتباعهم الهجرة عن أوطانهم، بل بقوا في أماكنهم يقيمون شعائر الدين وأرسل من الصحابة ليرشدهم إلى دينهم، كما فعل الرسول حين هاجر من مكة إلى المدينة، فلم يأمر القبائل التي آمنت به، ولم يرغم كل المسلمين بترك مكة، بل تركهم يقيمون دينهم، كما فعل الرسول حين هاجر من مكة إلى المدينة فلم يأمر القبائل التي آمنت به ولم يرغم كل المسلمين بترك مكة بل تركهم يقيمون دينهم على أرضها رغم سيطرة المشركين عليها وقد حافظ الإسلام على هوية الشعوب وانتماءاتهم الدينية بعد سلسلة الفتوحات التي عرفتها بلاد العالمين ويعود ذلك لطبيعة الدين الإسلامي المتمتع الاحتواء لا الاستئصال.[1]

«فالدين يعادي تجريد الإنسان من روابطه الاجتماعية وانتماءاته ويؤكد على الوعي الذاتي والاجتماعي والإنساني، يتجاوز القبيلة والجنس والمكان لأن الرابطة هي رابطة العقيدة والانتساب للأمة عمقا وأفقا».[2]

فالانتماء الصحيح قبل الإسلام ارتبط بالقيم السامية من حسب ونسب وشرف، وحين جاء الإسلام، أدرك الفرد أنه جزء من المؤمنين فحلت رابطة العقيدة محل رابطة الدم.

3- الانتماء النفسي:

أكد الإنسان ذاته في جميع مواقفه وأفعاله والانتماء على كافة الأصعدة والاتجاهات ما هو إلا تعبير عن القلق وهو مراتبط بالاختيار، فالإنسان قلق أحيانا في كل شيء يصادفه أو يجابهه أثناء حياته، قلق في الانتماء إلى حزب سياسي معين، أو اختيار مصيره، أو في مواجهة الذات والعالم.

يقول مونيه : « العالم والكون لا يمكن أن يتحققا إلا من خلال عمل الإنسان».[3]

في حين يرى آخر: « أن شخص الجماعة غير شخص البيئة، فلا بد للشخص أن يعود إلى جذر الكائن الإنساني ليكون قادرا على إدراك كرامته وحريته وغاية خلقه».[4]

---

[1] ينظر، جورج جبور: " العروبة ومظاهر الانتماء الأخرى"، تطل منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1976، ص 122.

[2] منير سغريني : " الشخصانية الإسلامية"، نط، دار المعارف، مصر، 1969م، ص47.

[3] المانويل موتيه: " الشخصانية، تر : تيسير شيخ الأرض، نط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1958م، ص 37.

[4] عبد العزيز الحبابي الشخصية الإسلامية دول دار المعارف، مصر، 1969م، ص 1110.

وتؤكد الدراسات الفلسفية على أن «الانتماء لدى المجتمعات القديمة أكثر تماسكا، حيث يتشبع الأفراد بقيم الجماعة التي تشكل جزءا كبيرا من حياتهم، الأمر الذي يجعل شخصياتهم الفردية تتماهي في إطار شخصية الجماعة، فيصبح الدفاع عن القبيلة عفويا ذاتيا بينما في المجتمعات الحديثة يكون فيه الفعل قائما على وعي المصلحة المتبادلة».[1]

فالإنسان دائم البحث عن ذاته باستمرار ليحدد موقعه في هذا الوجود حفاظا على هويته، والفلسفة إحدى الوسائل التي تعرفه على هويته، وفي هذا الصدد يقول حجازي: « الإنسان اليوم كائن مزيف فقد هويته وأضاع أصالته ووجد نفسه عاريا عن نفسه، أو هو يحاول بشتى الأساليب ومن مختلف الأقنعة أن يجد له هوية بديلة»[2]، نظرا للمأساة الوجودية التي يعيشها تبدد لديه شعور الانتماء، وبات تائها ظالا إذ توقفت مسيرته التاريخية لحظة أفرغت روحه من محتواها.

ثالثا: مظاهر الانتماء.

1- الحب والحنين إلى الأوطان :

ونحن بصدد الحديث عن الحب والحنين إلى الوطن كان لابد أن نقف عند المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة الوطن والحنين فلفظة الوطن في اللغة: يعني مكان إقامة الإنسان ومقره الذي ولد فيه.[3]

والوطن في الاصطلاح يعني القطر الذي ينتسب إليه المرء من حيث جنسيته أو تابعيته فهو مسقط الرأس ومستقر الحياة وسكنه روحا وجسدا.[4]

أما لفظة الحنين في اللغة فتعني الشديد من البكاء والطرب، وقيل هو صوت الطرب إن كان ذلك عن حزن أو فرح.

---

[1] حسين جمعة ظاهرة الانتماء، مجلة التراث العربي، العدد 32 يوليو 1988م، ص58.

[2] مصطفى حجازي: التنظف الإجتماعي، طك، معهد الانماء العربي، بيروت، 1989م، ص138.

[3] ابن منظور: "لسان العرب"، مادة وطن

[4] ينظر : ابن دريد محمد بن الحسن: " جمهرة اللغة، ط1، نشر كونكو، 1987م ، ص63.

والحنين الشوق وتوقان النفس والمعنيان متقاربان، وجفت الإبل، نزعت إلى أوطانها وأولادها، والناقة تحن في أثر ولدها حنينا تطرب مع صوت، وقيل حنينها بصوت أو بغير صوت والأكثر إن الحنين بالصوت وتحننت الناقة على ولدها، تعطفت.[1]

أما اصطلاحا فهو النزوع والشوق إلى الشيء.[2]

فبين لفظتي الوطن والحنين تقارب شديد وارتباط وثيق فقد نص اللغويين قديما على أن حنين الإبل يعني نزوعها إلى أوطانها وكذلك حنين الإنسان[3]، وقد قال الجاحظ « إني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزوع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلد إلى آخر أمهد من وطنه وأعمر من مكانه وأخصب من جنابه، ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطائها[4]، فالحنين إلى الأوطان هو انتماء وولاء وحب وحنين لا يقتصر هذا الحب والحنين على الإنسان فقط بل يشمل الحيوان أيضا وقد عبر عليه الكثير من الشعر، ففي الجاهلية قال امرؤ القيس:

وما جبنت خيلي ولكن تذكرت مرابطها في بربعيص وميسرا[5]

ويقول عنترة:

أحرقتني نار الجوى والبعاد بعد فقد الأوطان والأولاد[6]

وجاء ذكر الوطن في الشعر الإسلامي إذ يقول عمر بن أبي ربيعة:

قد هَاجَ قَلْبَكَ بعد السَّلْوَةِ الوطن والشوق يحدثه للنازح الشَّجَنُ

---

[1] ابن منظور: "لسان العرب" ص 105، مادة حقن.

[2] محمد عبد المنعم: " الغربة والحنين إلى الديار" في شعر العصر العباسي الثاني مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الخليل، كلية الدراسات العلياء ، 2006م، ص4

[3] ينظر ابن دريد محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، ص64.

[4] الجاحظ، ابوعثمان عمرو بن بحر الحقين إلى الأوطان"، ط2، دار الرائد العربي، سروت، 1982م، ص6.

[5] المرؤ القيس الديوان، تح: أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار المعارف، مصر، 1984م، ص70.

[6] عفترة الحمي الديوان، تح حمدو طماس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص 67.

وقوله:

ذكر البلاط وكلُّ سَاكِن قريةٍ بعد الهدو تهيجه أوطانه

وقوله :

إنَّ مِن تَهْوى مع الفَجْرِ ظَفْن للهوى والقلبُ مِتَّبَاعُ الوطن.[1]

والشعر الذي ذكر الوطن كثير في صدر الإسلام والعصور التالية، ليس القصد عندنا استقصاءه، وكثر ذكر الوطن والحنين إلى الأوطان في التراث الإسلامي، وفي مقدمة ذلك ما جاء في حب الأوطان (حب الأوطان من الإيمان، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم) محباً لوطنه مكة كثير الحنين إليها، إذا ذكرت كانت عيناه تغرورقان بالدموع شوقا وحنينا، وكان يكره خروجه من مكة مضطرا ويذكرها محباً، يقول في خروجه من مكة مهاجرا: « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت».[2]

وكان إذا أقدم أحد من مكة إلى المدينة سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة موطنه ومرتع صباه وكله شوق وحنين.

والروايات كثيرة في حنين أصحاب رسول الله وآله إلى الأوطان وإلى مكة خاصة.

2- الغربة

ان مقابل كلمة الغربة في اللغة الإنجليزية **(Alienation)** والفرنسية **(Alienation)**، وأصلها من الكلمة اللاتينية البناتر **(Alienatio)**، ويشير الإغتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكاتب إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة الإغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الإنسلاخ **(detachement)** سواء عن الذات أو عن الآخرين.[3]

---

[1] عمر بن أبي ربيعة الديوان، تج: محمد محي الدين عبد الحميد بطل القاهرة، 1965م، ص 181.

[2] الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، 2007م، ص11.

[3] اعبد اللطيف محمد خليفة: " دراسات في سيكولوجية الإغتراب، ط1، دار غريب، القاهرة، 2003م، ص 20.

أما الكلمة العربية غربة: «وهي تدل على معنى النوى والبعد، فالغريب هو البعيد عن وطنه والجمع غرباء والأنثى غريبة والغرباء هم الأباعد» واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث، أغرب صار غريب والتغريب النفي عن البلد[1]، فالكلمة تدل على معنيين: الأول يدل على الغربة المكانية والثاني يدل على الغربة الاجتماعية.

والغربة أو الاغتراب في المعاجم العربية تدل على النزوح عن الوطن أو الانفصال عن الآخر وفي شعر المتلمس :

الا بلَغْنَا أَفْنَاء سعد بن مالك رِسَالَةٌ مِنْ قَدْ صَارَ فِي الغَرْبِ جَانِبَةً.

فالغربة : النوى والبعد والتنحي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان، وغرب في الأرض وأغرب: إذا أمعن في البعد، وأغرب صار غريبا، وكثير ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع.

أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيرا ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ النفسي، وكذلك شعوره بافتقاد الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقاد الطمأنينة.[2]

وأصعب الغربة إغتراب الذات بسبب الفقر والحرمان والظلم داخل وطن الانتماء، إذ يسبب ذلك حاجة داخلية يشعر من خلاله الفرد بالانسلاخ الداخلي والقلق وعدم الاتزان يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه « الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن».[3]

3- مفهوم الانتماء في العلوم الإنسانية:

تناولت علوم كثيرة مفهوم الانتماء بالدرس والتمحيص، ومنها علم الاجتماع والفلسفة، وعلم النفس وهي كلها مفاهيم متداخلة مع بعضها تكاد تصل أحيانا إلى درجة التطابق.

---

[1] منظور : " لسان العرب ص 100، مادة غرب.

[2] عبد اللطيف محمد خليفة: " دراسات في سيكولوجية الإغتراب"، ص 45- 140.

[3] علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، تح محمد عبده، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1996م، ج4، ص14.

- في علم الاجتماع:

يعتبر الانتماء من أهم المفاهيم التي تحدد طبيعة العلاقة بين الفرد والجماعة، فالبشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سويا ويعتمد كل منها على الأخر عبر مراحل الحياة، فالعلاقة بالآخرين تعتبر من الضروريات.

وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الجماعي كونه العمود الفقري للجماعة ، وبدونه تفقد الجماعة تماسكها وتصبح مهددة بالانهيار.

أما على المستوى الفردي فيساهم الانتماء في تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التي يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده، وشعوره بالإنتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها تعطيه الأمن والطمأنينة.

فأساس الانتماء هو مبدأ مشاركة أفراد المجتمع ، والتعاون فيما بينهم من أجل مواجهة المشاكل التي قد تحيط بهم ، ووضع البرامج المناسبة لمواجهتها.

والانتماء الاجتماعي يقابله على الضد تماما مفهوم الاغتراب الذي يعني ابتعاد الفرد عن ذاته وعن جماعته وسواء ابتعد الفرد عن جماعته ومغادرتها إلى جماعة أخرى فهو في كلنا الحالتين إنما هو فاقد لانتمائه والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة، فالفرد عضو في مجتمع منغمس في وضع اجتماعي معين، وشعوره بالانتماء يعتبر من أهم الدعائم التي تحافظ على استقراره ونموه وتمسكه.

وإذا كان المجتمع والعوامل المؤثرة فيه هي بمثابة التربة التي ينمو بها الإنسان، فإن الانتماء يشير إلى مدى شعور أفراد هذا المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم فلا يخلو مجتمع – أيا كان من أناس يسعون لخدمته وتوعية أفراده بمشاكلهم ، وتقديم الحلول الممكنة لهذه المشاكل، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع والدفاع عن مصالحه وكذلك الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء إليه والمحافظة على

ممتلكاته، " فالانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة ، حيث يرغب في الانتماء إلى جماعة قوية ، يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها، مثل الأسرة أو النادي أو الشركة".[1]

- في علم النفس:

إضافة إلى المفهوم الاجتماعي للانتماء، هناك مفهوم آخر، احتل مكانة هامة في أوساط العلماء والباحثين بالفحص والدراسة وهو الانتماء النفسي، حيث يذهب علم النفس إلى أن الانتماء بشير الحاجة من الحاجات النفسية ويرتبط بشعور داخلي لدى الإنسان ينعكس من خلال النشاطات التي يساهم بها داخل مجتمعه " فالحاجة إلى الإنتماء تعتبر من الحاجات المهمة التي تشعر الفرد بأنه جزء من جماعة معينة سواء كانت هذه الجماعة (الأسرة ، الرفاق، جماعة معينة)".[2]

ويعتبر الانتماء من العوامل الهامة التي تساعد على تماسك الجماعات والأفراد، وتزيد من استقرارهم وإشباع هذه الحاجة يؤدي استقرار الجماعات وتنظيماتها المختلفة، والانتماء النفسي ظاهرة ليست مقتصرة على مجتمع دون آخر فأينما وجد الإنسان وجد الانتماء، فهو دليل على صحه النفسية واستقرار لذاته ، وهو دليل توحد بين الفرد والجماعة مع توفر الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز وهو اتجاه يستشعره الفرد من خلال اندماجه في جماعة وتوحده معها وأنه صار جزء منها ، وله مكانته المتميزة ووضعه الأمن بها.

ومن المتفق عليه بين المشتغلين بعلم النفس أن الأسرة تلعب دورا هاما في إعداد الفرد وتكوينه، وتأهيله للقيام بأدواره ووظائفه داخل النسق الاجتماعي حيث تمثل الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تحضن الطفل منذ اللحظات الأولى "فالأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية مثل الوظيفة النفسية والوظيفة الاقتصادية وغيرها ..."[3].

---

[1] أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، مكتبة لبنان، بيروت ، 1978، ط1، ص 16.

[2] صابر عبد الباقي : مفهوم الإنتماء ، كلية الآداب جامعة المانيا ، ص4 .

[3] المرجع السابق ، ص 6

فالفرد منذ طفولته المبكرة يحيا في ظل مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ التي تترسب في وجدانه حتى تتحول لديه إلى شعور غير محسوس، ومن خلال ذلك يصبح الفرد منتميا إلى المكان وإلى الأسرة وإلى الجماعة وإلى المجتمع وإلى الوطن.

فالحاجة للانتماء من أهم الحاجات التي تحرس الأسرة على إشباعها لدى الطفل .

نستنتج من خلال ما سبق أن الانتماء ركن أساسي في الحياة النفسية ، تستبع حتما الانتماء إلى الوطن، بحيث يشعر الفرد بأن الوطن له وأنه مسؤول عن سلامته وحياته وتيمومته، ومتى شعر الفرد بهذه الرابطة النفسية ينمو لديه الإحساس الذي يكاد يكون غريزيا بأنه جزء من كل وبأنه له نور في مجتمعه يترتب عليه القيام بالمحافظة عليه وبالتالي المحافظة على نفسه لكونه جزء لا يتجزأ منه ، فالانتماء النفسي يعتبر من الأبعاد الهامة التي تساهم في تطوير المجتمعات وضمان تواصلها واستقرارها عبر الزمن، ولكي نتفاعل مع جيلها والجيل الذي يستقبلها مرحبا بعطائها.

3- في الفلسفة:

إضافة إلى البعدين السابقين للانتماء النفسي والاجتماعي هناك بعد أخر شغل أراء العديد من العلماء والفلاسفة و هو البعد الفلسفي ،حيث يرون أن الإنسان بحاجة للانتماء ليرتبط و ينسجم مع المنتمي إليه ، سواء بشكل أوسع كالانتماء للدولة أو اللغة أو الدين أو القارة أو بشكل ضيق كالانتماء إلى القرية أو الشارع ، أو البيت أو الأسرة .

والانتماء هو أن يكون الرجل معتزا بطبيعته، بما فيها من قيم و تقاليد و سجية يتفرد بها فطعم الانتماء لا يذوقه من ليس لديه شعور بالانتماء إلى نفسه البشرية بأصلها وبفطرتها التي خلقها الله عليها بما تحويها من قوة وضعف وحكمة وزلل وصواب وخطأ.

والانتماء أيضا أصالة فالرجل الأصيل تجده يحفظ الجميل لكل ماله فضلة عليه أما الرجل الخسيس سرعان ما يحدد الفضل المبذول إليه وينسى صاحبه وحين يحقق الإنسان الانتماء مع نفسه البشرية و طبيعته وسجيته التي خلقها الله عليها يتحقق كذلك انتماؤه إلى الجماعة التي يعيش فيها أو الوطن أو القارة .

والإنسان القوي الأصيل هو الذي لا يعرف راحة إلا في وطنه أو مجتمعه، حتى و لو كان وطنه جحيما وما سواه جنة ونعيم مقيم ، فوطنه أو مجتمعه هو الذي يستمد وجوده منه وهو الجهة القادرة على إشباع حاجاته و هكذا يكون من السهل عليه أن يضحي من أجله مهما ذاق أما الإنسان الضعيف فهو الذي سرعان ما يتسلخ من جذوره و يرضى أن يعيش مبتور الأصل إذا كان أصله غير مرض له ، أو إذا وجد حياته أكثر هناءة وراحة في غير أصله.

والانتماء يتطلب الإيمان بمبادئ المنتمي إليه أي التوحد معه حيث يتأثر الفرد بكل ما يؤثر على جماعته التي يعيش فيها ويشاركها كل ما يقع أو يحدث فيها و يغار عليها ويدافع عنها في مقابل المجتمعات الأخرى بكل دعم مادي أو معنوي فالانتماء " هو النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من الالتزام بمعايير و قواعد هذا الإطار و بنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى "[1]

وحين يؤمن الفرد بمبادئ الجماعة ويتوحد معها تسهل عليه عملية التضحية من أجلها ، والتضحية قد تكون بمطالب الفرد الخاصة ورغباته في سبيل الحصول على القبول الاجتماعي وقد تكون بنفسه وهي أعلى درجات التضحية.

رابعا: عناصر الانتماء.

الإنسان كائن حي عقلاني ، فاعل ومنفعل، فمنذ ولادته ينتمي إلى كنف أسرته ويتطور لديه الانتماء وينتقل من المنزل والعائلة إلى محيطه، فمدينته ثم يتطور الأمر إلى أبعد من ذلك إلى موطنه وأمته .

وعلى هذا يمكن حصر عناصر الانتماء في أمور ثلاثة وهي: الانتماء والأسرة، الانتماء والمجتمع، الانتماء والمواطنة.

[1] نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري ، دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر القاهرة ، 1999، ص 57.

1- الانتماء والأسرة:

هناك الكثير من الأشخاص يشعرون بعدم الانتماء إلى أسرهم ويرون أنهم مجبرون على هذه العائلة ، ولو عاد الأمر لما اختاروا أن يكونوا في أسرهم من الأساس، وعدم الانتماء شعور صعب لأي شخص لأنه سيشعر بالغربة داخل أسرته، ومما لاشك فيه أن مرحلة الطفولة تعد من أهم المراحل وأكثرها تأثيرا في حياة الفرد المستقبلية ، إذ يتوقف عليها تحديد المعالم الرئيسية لشخصيته من خلال ما يكتسبه من خبرات وقيم واتجاهات.

ومن المتفق عليه بين المشتغلين بعلم النفس "أن الأسرة تلعب دورا بالغ الأهمية في إعداد الفرد وتأهيله للقيام بأدواره ووظائفه داخل النسق الاجتماعي، حيث تمثل الأسرة أولى المؤسسات الاجتماعية التي تحضن الطفل منذ اللحظات الأولى لخروجه إلى الحياة ، وخلال كافة مراحله العمرية التالية"[1].

هذا من جهة ومن جهة أخرى يرى علماء النفس " أن الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية، مثل الوظيفة النفسية كالحب والشعور والانتماء ، والوظيفة الاقتصادية ثم وظيفة التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية"[2]، أضف إلى ذلك أن الحاجة إلى الانتماء من أهم الحاجات التي يجب أن تحرس الأسرة على إشباعها لدى الطفل، وذلك لما يترتب عليها من سلوكيات مرغوبة يجب أن يسلكها الطفل منذ صغره ، وحتى بقية مراحل عمره.

وبشكل عام يمكن القول أن للعلاقات الأسرية أثرا إيجابيا في تكوين الشعور بالأمن وتطور مفهوم الذات الإيجابي عند الطفل، حيث أن نسق الأسرة – مثله في ذلك– مثل سائر الأنساق الأخرى ، يكون رهنا للظروف والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

2- الانتماء والمجتمع:

يعد الشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائمه ، والتي تحافظ على استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم ، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال " المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع والدفاع عن مصالح المجتمع ،

[1] صابر أحمد عبد الباقي : مفهوم الإنتماء كلية الآداب جامعة المانيا، ص 6

[2] المرجع نفسه ، ص6

والشعور بالفخر، والاعتزاز بالانتماء إليه، والمحافظة على ممتلكاته، وكل هذه المؤشرات يمكن أن تقاس ويستدل عليها المجتمع"[1]، ومفهوم الانتماء الاجتماعي واحدا من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان ، ويقابله على الضد تماما مفهوم الاغتراب" الذي يعني الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن جماعته، وسواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادرها، إلى جماعة أخرى فهو في كلت الحالتين إنما يفقد انتمائه لجماعته من جانب ويواجه برفض الجماعة الأخرى من جانب آخر، لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته"[2].

وأخيرا يمكن القول أن أهمية الانتماء تبرز على المستوى الاجتماعي، فهو العمود الفقري للجماعة وبدونه تفقد الجماعة تماسكها، وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها، والذي يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات إفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد، يمكنها أن تأثر على أفكاره وسلوكه عن طريق الفوائد التي يحصل عليها من وراء انتمائه لها.

3- الانتماء والمواطنة:

الانتماء لا يتحقق إلا بمقومات المواطنة، ودونها لا يصير لمفهوم الانتماء معنى ولا قيمة ، بل يغدو مجرد عبارة رنانة يرددها اللسان أو القلم، لاتسمن ولا تغني من جوع، ضف إلى ذلك أنها تعتبر من أهم عناصر الانتماء "والمواطنة ليست مجرد مفهوم سياسي أو قانوني، وليست كما نختصرها في مجرد كلمات أو شعارات نتغنى بها دون وعي بمضمونها وجوهرها ولكنها تعبر عن ذلك الارتباط المعنوي، والشعور القوي بالحاجة إلى تلك الرابطة السيكولوجية والاجتماعية بالمكان أو الحيز الذي يعيش فيه الإنسان ويجد فيه نفسه"[3].

ويذهب الباحثون في علم الاجتماع إلى تعريف المواطنة في المجتمع الحديث على أنها "علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والمجتمع السياسي (الدولة)، حيث تقدم الدولة الحماية

---

[1] صابر أحمد عبد الباقي : مفهوم الإنتماء كلية الآداب جامعة المانيا، ص 4- 5

[2] المرجع نفسه ، ص 5

[3] محمد عبد الغني حسن هلال : الولاء والانتماء، ص2 مخطوطة.

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للأفراد ويقدم الأفراد الولاء للدولة، ويلجئون إلى قانونها لحصولهم على حقوقهم"[1].

والواضح من هذا التعريف أنه يتضمن " آلية التعاقد (العقد الاجتماعي)، فحين يفترض أن تكون الحكومة التي تسير الدولة هي المسئولة عن ترسيخ الشعور بالمواطنة ، فإنها إذا أخلت بشروط العقد أي إذا لم تؤمن الحماية الاجتماعية والاقتصادية للأفراد كان من الطبيعي أن يخف إحساس الأفراد بشعور المواطنة والولاء لقانون المجتمع"[2].

وعليه وتأسيسا على ما سبق فإن الأمر يستلزم الاعتراف بحقوق الإنسان في وطنه ومجتمعه، ومن ذلك حقه في الحياة الكريمة والظروف الملائمة ، وكذا الاعتراف بحقه في حرية إبداء الرأي والتعبير إزاء كل ما يتصل بشؤون مجتمعه أو وطنه وإزاء كل ما هو حق وعدل في ظل منظومة القيم المجتمعية السائدة.

خامسا: مظاهر الانتماء.

تناول جل الباحثين مظاهر الانتماء والتي تعبر عن السلوك الذي يجسد القيم الوطنية التالية:

1- الاعتزاز بالرموز الوطنية:

عادة ما يختزل الإنسان طريقة تعبيره عن اعتزازه بوطنه من خلال الاعتزاز بالأشياء التي ترمز بوضوح إلى هذا الوطن، والتي من بينه الالتزام بالقوانين والأنظمة السائدة في هذا الوطن، إذ يسعى الفرد دائما في كل وطن إلى حياة هانئة، يسودها الاستقرار والأمن وبيلورون ذلك من خلال تشريعات تشتمل على أنظمة وقوانين تحضى بالاحترام والقبول وتترجم من خلال سلوكياتهم عبر الالتزام بها، مما يحفظ هيبة الوطن ومكانته ويسهل الأمور الحياتية للمواطن، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الاعتزاز بالرموز الوطنية هي طريقة

[1] صابر أحمد عبد الباقي : مفهوم الإنتماء، ص2.

[2] المرجع نفسه، ص 2.

تعبير عن الاعتزاز بالوطن ومن أمثلة الرموز الوطنية الفلسطينية مثلا العلم الفلسطيني، والنشيد الوطني والأزياء والفنون الشعبية الفلسطينية"[1].

2- التمسك بالعادات والتقاليد:

تعتبر العادات والتقاليد سمة مميزة لكل شعب من الشعوب حيث أن المقصود بالتمسك بها هو "الحفاظ على العادات والتقاليد وعدم الامتثال للعادات والتقاليد الدخيلة على مجتمعنا، أو تلك التي تتعارض مع الدين أو المنطق العلمي ، ومن العادات والتقاليد الفلسطينية مثلا ما هو متبع في حالات الصلح والخطبة والزواج والعزاء وغيرها".[2]

ومن العادات التي يتصف بها المواطن الفلسطيني المشاركة في الأعمال التطوعية ومد يد العون للمحتاجين والفقراء وبما أن فلسطين محتلة من قبل عدو لا يرحم فإنه من الطبيعي أن تتعرض إلى كل الجرائم من قتل وتدمير وتخريب وضعف في إمكانات السلطة الوطنية كل ذلك يجعل من " المشاركة في الأعمال التطوعية قضية بالغة الضرورة والأهمية لما لها من أثر عظيم في مقاومة آثار العدوان وإسهام في تسريع عجلة البناء إضافة لكونها مظهرا هاما من مظاهر الانتماء.

3- التضحية دفاعا عن الوطن :

ان التضحية دفاعا عن الوطن تأخذ أشكالا عدة فهناك من يضحي بماله أو سنوات عمره التي يقضيها في الأسر، و لعل التضحية بالنفس هي أعظم المظاهر الدالة على الانتماء إلى الوطن ويزداد هذا المظهر قوة وشيوعا مع تصاعد وتيرة العدوان وفي الواقع الفلسطيني يكتسب هذا المظهر أهمية خاصة و يحظى بتقدير يصل حد القداسة"[3].

والمشهد الفلسطيني غني بمثل هذه الأمثلة وهو مظهر بات يمارس بشكل يومي في خضم انتفاضة الأقصى.

---

[1] أبو فودة الانتماء الوطني محمد: WWW.MV20V.COM.FORUM/SHOUTHREAD

[2] المرجع السابق : WWW.MV20V.COM.FORUM/SHOUTHREAD

[3] المرجع نفسه : WWW.MV20V.COM.FORUM/SHOUTHREAD

إذن هذه هي أهم وأبرز مظاهر الانتماء إلى الوطن ،حيث أن الالتزام بهذه المظاهر يؤدي إلى تقوية شعور الفرد بالانتماء إلى الأرض التي يعيش فيها و توجيهه توجيها يجعله يفتخر بهذا الانتماء ويتفانى في حب وطنه و يضحي من أجله، أضف إلى ذلك أن مشاركة الإنسان في بناء وطنه تشعره بجمال الحياة و بقيمة الفرد في مجتمعه و ينمي لديه مفهوم الحقوق والواجبات و أنه لا حق بلا واجب وتقديم الواجبات قبل الحصول على الحقوق.

يتجلى لنا مما سبق الإشارة إلى أن الأدب الفلسطيني خاض النضال الوطني والقومي على أكثر من مستوى، إذ حمل سلاح الذاكرة والحنين في وجه الأعداء ، وركز على التأكيد بأهمية الانتماء إلى المكان في ظل علاقاتها بالانتماء إلى مشروع نهضوي جامع ، وترسيخ الوعي بالأهمية الجوهرية للإنسان كونه في نهاية الأمر قضية من هذا الاعتبار ارتبط الأدب الفلسطيني كله بمفهوم الانتماء، حيث لم يتناول إلا قضية واحدة هي القضية الفلسطينية.

الفصل الثاني

صورة الانتماء في رواية عائد إلى حيفاء

أولا: تعريف غسان كنفاني

ثانيا: أهم المحطات الأدبية الكبرى لغسان كنفاني

ثالثا: تلخيص رواية غسان كنفاني «عائد إلى حيفا»

رابعا: تحليل الرواية

1- دراسة الشخصيات

2- دراسة الفضاء المكاني

3- الفضاء الزماني

4- الأشياء

تحتل الرواية الأدبية مكانة بارزة فهي تعتبر من بين فنون الأدب وتعتبر فن متداول بكثرة في العالم عامة والعرب خاصة، فالرواية الآن هي ديوان الحياة والمعاصرة، فهي تستطيع أن تحمل عبر صفحاتها كل خصائص الحياة وسماتها، والرواية الحديثة ابنة المجتمع فهي ابنة مراحل طويلة من التطور والتقدم فقد لم يعرف العرب هذا الفن إلا في بداية القرن العشرين، فقد تأثرت الرواية العربية بالغربية تأثيرا واعيا"[1].

لقد أصبحت الرواية لسان حال المجتمع في العصر الحديث تعالج كل المعطيات والظروف المحيطة بالإنسان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ،أما بالنسبة للرواية الفلسطينية فإن أصحابها يحاولون الوقوف عند أهم الدلائل التي تعكس حقيقة الانتماء إلى فلسطين و وسيلة للمقاومة و الدفاع عن هذه الأرض و الهوية أضف إلى ذلك أنها ركزت على قضية واحدة هي قضية الانتماء و الانتساب إلى الأرض.

وسنركز في هذا الفصل على دراسة رواية عائد إلى حيفا" للأديب غسان كنفاني، ونحاول الوقوف عند جملة العناصر التي تبرز حقيقة الانتماء إلى فلسطين ولكن قبل ذلك رأينا أن نقف عند شخص غسان كنفاني و مراحل مسيرته الأدبية.

أولا: تعريف غسان كنفاني.

ولد غسان كنفاني في عكا عام 1936م ، عاش في يافا واضطر إلى النزوح عنها كما نزح آلاف الفلسطينيين بعد نكبة 1948م تحت ضغط القمع الصهيوني، حيث أقام مع نويه لفترة قصيرة في جنوبي لبنان، ثم انتقل إلى دمشق.

عمل كنفاني منذ شبابه المبكر في النضال الوطني، وبدأ حياته العملية معلما للتربية الفنية في مدارس وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) في دمشق، ثم انتقل إلى الكويت عام 1956م، حيث عمل مدرسا للرسم والرياضة في مدارسها الرسمية، وكان في هذه الأثناء يعمل في الصحافة، كما بدأ إنتاجه الأدبي في الفترة نفسها.

انتقل إلى بيروت عام 1960م حيث عمل محررا أدبيا الجريدة "الحرية" الأسبوعية عثم أصبح عام 1963م رئيسا لتحرير جريدة "المحرر"، كما عمل في "الأنوار" و "الحوادث"،

[1] البشير إبريز تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007، ط 1 ، ص 178 .

حتى عام 1969م حين أسس صحيفة "الهدف" الأسبوعية وبقي رئيسا لتحريرها حتى استشهاده في 8 تموز (يوليو) 1972م.

يمثل كنفاني نموذجا خاصا للكاتب السياسي والروائي والقاص والناقد، فكان ميعا في كتاباته، كما كان مبدعا في حياته ونضاله، واستشهاده وقد نال عام 1966م جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان" الأفضل رواية عن روايته "ما تبقى لكم، كما نال جائزة"[1] منظمة الصحافيين العالمية (J.1.0) عام 1974م، ونال جائزة اللون ي يمنحها اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا عام 1975م.

أما مؤلفاته فقد تنوعت بين الرواية والقصة والمسرحية فمن أهم رواياته تذكر: رجال في الشمس ،1963م، ما تبقى لكم سنة 1966م ، عائد إلى حيفا 1969م، أم سعد سنة 1979م، العاشق 1966م، الأعمى والأطرش، برقوق نيسان، وهذه الثلاثة الأخيرة هي روايات غير كاملة.

أما قصصه فنذكر: موت سرير رقم 12 1961م، أرض البرتقال الحزين 1962م، عالم ليس لنا ،1965م عن الرجال والبنادق 1968م، أما عن مسرحياته فنذكر منها: الباب 1964م، القبعة والنبي 1967م، جسر إلى الأبد 1965م"[2].

ثانيا: أهم المحطات الأدبية الكبرى لغسان كنفاني.

يتجسد مفهوم الانتماء بمظاهر المشاركة الناتجة عن إحساس الفرد ووعيه بأن الآخرين يواكبونه فكريا، ويشاركونه أراء في مختلف المجالات، والتخصصات وبعبارة أخرى فإن الإنسان في العصر الحديث أصبح ينظر إلى الانتماء على أنه " اتجاه يستشعر من خلاله الفرد توحده بالجماعة وبكونه جزءا مقبولا منها ، ويستحوذ على مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه"[3].

---

[1] انظر : رجال في الشمس مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ، ط3

[2] انظر: المرجع نفسه ، ط3

[3] عبد الله محمد خليفة : مقياس الإغتراب ، دار غريب ، القاهرة ، 2006 ، ص 6 .

وقد انعكست هذه الظاهرة على الأدب ، فغدا الانتماء موضوعا بارزا فيه، شأنه شأن أوجه النشاط الإنساني ، حيث حاول أدباء القضية جميعهم رصد حركة المجتمع الفلسطيني " "كل وفق رؤيته ومفهومه للقضية والمجتمع والعالم ، وتفاوت ذلك الرصد بين الكتاب وفقا لطبيعة النوع الأدبي المنتج ، ولكن الرواية كانت أنجح المقاربات الاجتماعية، بوصفها عاملا اجتماعيا في طبيعتها الإبداعية ، وفي طبيعة تكوينها ونشأتها".[1]

فالمطلع على الأعمال الأدبية الفلسطينية لابد أن يعثر على ملامح الانتماء وجذوره، إذ كلما ازدادت التعقيدات السياسية والتحولات الحضارية، انعكس ذلك على الإنسان ، وبالتالي على إبداعاته ، وعلى هذا الأساس فإن موضوع الانتماء بعد واحد من أهم الموضوعات البارزة في إبداعاتهم الأدبية الشعرية منها والنثرية.

ومن بين الأنباء الذين انعكست في كتاباتهم ظاهرة الإنتماء " **غسان كنفاني**" إذ لا يمكننا أن نتحدث عن رواية فلسطينية ، دون التحدث عن هذا المناضل والصحافي والروائي، ونسعى هنا إلى معاينة هذه الظاهرة في بعض أعماله النثرية منها رواية " رجال في الشمس"، ورواية " أم سعد".

كتب غسان " رجال في الشمس " عام 1963 تروي قصة ثلاثة فلسطينيين من أجيال ثلاثة يحاولون العبور من العراق إلى الكويت، وحين يختبئون في خزان العربة الضخم بالاتفاق مع صاحبها " أبو الخيزران وفي فيظ الظهيرة ، حيث يتأخر السائق قليلا في حديثه مع حرس الحدود للتمويه تكون هذه الدقائق كافية للقضاء على الثلاثة " فيس، أسعد ومروان". مختلفين جميعا في خزان و يصبح السائق " أبو الخيزران" بعد أن يلقى الجثث الثلاثة على رأس الطريق قائلا : " لماذا لم يدقوا جدران الخزان....؟"[2]

هذه الرواية تشير إلى أن الفلسطيني مهدد بالموت، فقد دفعه البأس إلى الرحيل إلى بلد عربي من قطر عربي إلى قطر آخر باعتبار أن "الانتماء إلى الوطن العربي لا يلغي الانتماء إلى القطر العربي ، لأن القطر جزء من الكل والكل يشمل الجزء ولا يلغيه،

[1] حسين سليمان : الطريق إلى النص : مقالات في الرواية الفلسطينية، إتحاد كتاب العرب، دمشق ، 1997 ، ص 53 .

[2] غسان كنفاني : رجال في الشمس ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1983، ط 3 ، ص 19.

فالوحدوي يوالي قطره ، ويوالي أهل قطره"[1]، وقصة رجال في الشمس قصة شعب بأكمله قاسي الذل والضياع والحرمان ، فكانت تعبيرا عن إرادة الفعل الفلسطيني إذ: "لم يدق الشباب الثلاثة جدران الخزان ، لأن المأساة التي رسمها الكاتب لكل منهم ، والأشواق التي ملأ بها نفوسهم وروح المأساة المتمثلة فيهم جعلتهم إرادة مصممة أن تعلو على الحياة نفسها"[2].

ويتكرس الانتماء إلى البعد العربي عبر شخصية أبو الخيزران –البطل– رمز القيادة العربية والفلسطينية الفاشلة والمهزومة في زمن النكبة وما بعدها ولعل عجز هذه القيادات من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط فلسطين وانهيار حكومتها، وقد حاول غسان عن طريق الرمز أن يقول للفلسطيني " عليك أن تبقى في أرضك و أن تتشبث بها برغم ضياع أشياء كثيرة (...) فخير لك أن تعيش في أرضك، أو تضل على مقربة منها على الأقل، ففي التجدر الحقيقي كنز الهوية ، والكيان والوجود الحقيقي"[3].

كما سعى غسان كنفاني أن يجري أحداث القصة بين بلد عربي أو بلدان عربية لبشير من خلالها إلى أن التوجه العروبي لديه كان عاليا (...) والتحول من الاعتماد على الفرد إلى التوجه نحو الجماعة ، على أن يكون ذلك نتاج وعي جديد مؤداه أن الاعتماد على الذات يظل اعتماد على تقرير المصير، بالاعتماد على السلاح لا الوعود والأحلام الرومنسية"[4].

فهذه الرواية تنبه الفلسطيني إلى ضرورة اختيار القادة القادرين على تحرير الوطن الأم ، وألا يتيح الفرص للقيادات الفاشلة والعاجزة – كأبي الخيزران–.

تتكرر الصورة التي تؤكد الإحساس بالانتماء إلى وطن واحد في رواية "أم سعد التي تناول فيها غسان كنفاني نموذج المرأة المناضلة في مخيم العربي حيث استطاع أن يضيف

---

[1] فاروق أحمد السليم : الإنتماء في الشعر الجاهلي ، ص 19.

[2] عبد القادر القطط الأدب العربي الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، 2001 ، ص 198.

[3] محمد فؤاد سلطان : قصة رجال في الشمس – دراسة نقدية – ، مجلة جامعة الأقصى فلسطين ، 2007 ، مجلد 11 ، العدد 2 ، ص 18

[4] مصطفى عبد الغني : الاتجاه القومي في الرواية، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، 1984 ، ص 182

إلى شخصية الأم كثيرا، إذ حولها في أم سعد" من أم تضحي بابنها من أجل الدفاع عن فلسطين، إلى أم تحقق دائها وانتماءها إلى هذه الأرض الطيبة.

إن هذه التضحية هي ما دفع رفيق البحوري إلى إعطاء سمة الملحمية " **لأم سعد** " إذ قالت : " إن الشخصية الملحمية تنشأ من توازن التأثير المتبادل بين الجزء والكل، وليس من التفكير في الذات المنعزلة (...) إن صورة أم سعد تختلف جوهريا عن صورة الأم المتألمة التي تضحي بابنها ، لأن نضال سعد ليس تضحية بل تحقيقا لذاتها"[1].

إن أم سعد مثلت رمز الأم العربية التي حملت هم المأساة وحاولت الدفاع عن القضية الفلسطينية وذلك بالولوج إلى العمل الثوري والرصاص لإثبات انتمائها إلى الأرض الفلسطينية ، فهي تمثل الرمز الجماعي التحرير فلسطين العربية حيث وصفها غسان حين يقدم روايته " بأنها تدفع وتظل تدفع أكثر من الجميع "[2].

سعى غسان في روايته هذه تعميق موقفه إلى ضرورة تحقيق الوحدة الداخلية وذلك بالقضاء على الفوارق الطبقية، التي تعرقل من حركة النضال والمقاومة فحين تذهب "أم سعد" لتنظيف أحد الأدراج ويتفق معها صاحب البناء على خمسة ليرات ، تجيء من تخبرها أنها هي امرأة بائسة أخرى، كانت تنظف الأدراج من قبل مقابل سبع ليرات حاول أن يقلل منها من جاء بها "أنا امرأة عندي أربعة أولاد، وقالوا لي سبع ليرات كثيرا"[3].

وهنا تصمت أم سعد لتقول: "وجعلوني أنا أقطع رزقك الله يقطع رزقك"[4].

فأم سعد تدرك بفطرتها العربية أن هناك مؤامرة الضرب العربي بالعربي، تبدأ بمواقف مثل هذه وهي تشير إلى ذلك حين تقول " كلما أتذكر تلك القصة يهتز يدني كله، وأكاد أبكي (...) إنني أصاب بالارتجاف حين أرى ذلك الناطور يتعقبني من قرية إلى قرية أخرى ، يريدون ضربنا ببعض نحن المشحرين كي يريحوا ليرتين "[5].

---

[1] رفيقة البحوري : الأدب الروائي عند غسان كنفاني ، دار التقدم ، تونس ، 1982 ، ط 1 ، ص 91 / 92.

[2] غسان كنفاني : أم سعد ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ، 1980 ، ص 2.

[3] غسان كنفاني أم السعد ، ص 59

[4] المرجع نفسه ، ص 60

[5] المرجع نفسه ، ص 60

لقد مثلت أم سعد صورة المرأة العربية المناضلة والمكافحة التي لا طالما قدمت ابنها كفدائي بدافع عن الأرض التي ينتمي إليها، معتبرة أن الولوج إلى الفدائيين هو الحل للخروج من ضغط الاستعمار الصهيوني فأم سعد" من هؤلاء الأمهات العربيات اللائي يحملن الهم الاجتماعي بالفطرة في نسيج تكوينهم العربي فإنها ما تهجس بالقضية الاجتماعية (...) وتتدد بالخطر الداخلي الذي يهدد قوة الانتماء وتماسكه، حين يصبح الفارق الطبقي معوقا لنيل الاستقلال الوطني"[1].

مما تقدم يلاحظ أن الرواية الفلسطينية حاولت ومازالت تحاول أن تطرح حالة رفض الواقع والتقوقع والانغلاق، وتؤكد الوجه النضالي المشرق لشعب فلسطين مصرة بذلك أن الوحدة العربية هي السبيل لتحديد فلسطين.

وبهذا يمكن القول أن الروايات الفلسطينية جزءا من الكتابات التي تستحق جدارة الانتماء إلى أدب القضية المقاومة .

ثالثا: تلخيص رواية غسان كنفاني «عائد إلى حيفا».

في عام 1996م صدرت رواية الكاتب غسان كنفاني «عائد إلى حيفا» وهي من حيث الرؤيا تطرح حوارا لا تقف مساحات حدوده عند ما جرى في زمن النكبة 1948م، فكل ما في ذلك الحدث يمتد نحو المستقبل الذي أصبح هو أيضا حقيقة تصارع من أجل هوية وتاريخ وحق في الانتماء لهذا المكان (فلسطين) الذي لم يعد في ظل الاحتلال الصهيوني الصورة تعبر عن زمنها المفروض ولون لغتها المغتصب.

تبدأ أحداث الرواية من لحظات عودة البطل (**سعيد**) وزوجته (**صفية**) إلى حيفا بعد سنوات من الخروج قصرا تحت نيران القصف المرعب للجيش الصهيوني، وتدمير المدينة وتهجير سكانها، غير أن هذه الأسرة وقف الرعب الممارس حائلا بينها وبين طفلها الصغير (خلدون) في تلك العاصفة هذا الطفل عان من الرموز التي سقطت مثل المدينة في أيادي الصهاينة في ذلك اليوم من صباح الأربعاء 21 نيسان عام 1948م. العودة في ظل

[1] مصطفى عبد الغني : الإتجاه القومي في الرواية ، ص 195

الاحتلال بحثا عن ذلك الطفل تجعل بطل الرواية سعيد يقف عاجزا أمام حقائق لا تفكر، منها أن الزمن لا يقف عند لحظات الهزيمة ولا مسافات الانتصار لأن حالة متحركة، وتشتد الأمور في أبعادها عندما يصاحب هذا التحرك قوة الاغتصاب والقهر، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتبر سعيد منزله الذي أخرج منه بمثابة الماضي والمستقبل المسروق، فابنه خلدون أصبح جنديا في الجيش الصهيوني، واسمه "دوف" ابن الأرض يقاتل مع محتل الأرض تلك هي صدمة التاريخ القائم يعني الحاضر المنكسر، إنها لحظات تظهر فيها بكل وضوح حقيقة جريمة الهروب وترك الحق، إنها فترة ضعف لا تجلب إلا الانكسارات وسرقة أقوى سلاح من يد المظلوم، الانتماء إلى الأرض وليس من قادر على رد الحق الضائع غير الإنسان.

إن أول ما شاهده سعيد في ابنه خلدون بعد سنوات الغياب الطويلة هو هذا الشاب الطويل القامة في الزي العسكري الصهيوني وسط الأسرة اليهودية التي احتلت منزله وتبنت هذا الطفل الفلسطيني، أنه لا يعتبر سعيد أبا له ولا صفية أما، ولم يعد بينه وبينهما من اتصال ولا رابطة الدم.

إن الطفل يعتبر صورة الماضي الذي لم يعد إلا قوة قهر ، فهو لا يعرف من حياته غير أمه ميريام اليهودية، وهذه البزة العسكرية لجيش الاحتلال، فهو شاب يقاتل أعداء الدولة الصهيونية وهذا في نظره الواجب الوطني، أما كل ما هو عربي فهو عدو ولا لغة غير لغة السلاح والموت للتخاطب مع العرب، هكذا هو عقل نوف في الجيش المحتل وهذا إن دل على شيء فانه يدل على مقدرة الاحتلال في تغيير الملامح في شكل المكان وروح الإنسان، حيث أن صنعة الاحتلال ليست التدمير ومحو الذاكرة فحسب بل هي إعادة صياغة الوعي وهو الخطر الأكبر الذي يحذرنا منه غسان كنفاني في هذه الرواية الخالدة.

إن الكيان الصهيوني الذي اغتصب الأرض وقتل الإنسان كانت غايته الحقيقية هي استلاب روح الإنتماء وسحق الهوية وطمس معالمها واستحداث صورة مغايرة لشكل المكان والإنسان.

ومن غريب الصدف في هذه الرواية هو ذلك التناقض الحاصل بين الشقيقين خالد الذي تربى في كنف **عائلته (سعيد ، وصفية)** وخلدون الذي ترعرع وسط عائلة يهودية فالأول منتمي إلى المقاومة ضد الاحتلال وان كان والده رافضا والثاني يقاتل مع الاحتلال، علاوة على ذلك فان الأب سعيد يرفض رفضا تاما حقيقة ابنه خلدون وحالته هذه فهو يفضل موته في ذلك الزمن على أن يكون يهوديا، فخلدون بالنسبة إلى سعيد مات وما هذا الشاب إلا طفل جاء مع زمن الاحتلال من أي بقعة من العالم ليصبح آلة قتل وتدمير في أيادي لا تخلق غير الفواجع.

عائد إلى حيفا رواية تخلد في ذاكرة الزمن مفارقة الهروب من الحصار والقتل للجسد ولكنها تدخلنا في تساؤلات حول مصير الهوية والكيان والتاريخ وحق العودة والانتساب إلى هذا المكان، حيث يظل الماضي من الحقائق التي لا تقهرها أصوات الجرائم، وحرائق الحروب، ومهما تصاعد دخانها فهو لا يحجب الفجر القادم.

رابعا: تحليل الرواية.

1- دراسة الشخصيات.

تشكل الشخصية عنصرا مركزيا من عناصر العمل الأدبي فهي ركن أساسي من أركان الرواية، وهي الخنصر الفاعل الذي يساهم في صنع الحدث، يؤثر فيه ويتأثر به ودون الشخصية العاقلة والمدركة يفقد الزمان والمكان معناهما وقيمتهما"[1].

جرت العادة أنه في كل رواية شخصيات يجسدونه ويمثلونه، فبالنسبة لشخصيات هذه الرواية يمكن تقسيمها إلى قسمين شخصيات منتمية وشخصيات غير منتمية.

1-1- الشخصيات المنتمية: ويقصد بها الشخصيات التي تبدو عليها ملامح الانتماء إلى قضية أو كيان ما وفي الرواية تشكل فلسطين قضية و مطرح للانتماء ومن خلال قراءتنا لهذه الرواية ، اتضح لنا مجموعة من الشخصيات المنتمية وهي كالآتي:

[1] يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي، دار القرابي، بيروت، 1990م، ط1، ص 51،52

أ – **سعيد:** هو بطل الرواية الذي يجسد حقيقة الانتماء إلى فلسطين ، هذا الرجل الذي عان من قهر وبطش وقمع الاحتلال الصهيوني وقسوته ، حيث أخرج من أرضه يفعل القوة كغيره من الفلسطينيين خلال حرب 1948م التي شنها الصهاينة اليهود ، فهو لم يخرج من حيفا بمحض إرادته ولكنه أجبر على التخلي عنها وهجرتها فقد كان رافضا مغادرتها ومتمسكا بالعودة إليها ويتجلى هذا في قول الروائي مثل من يسبح ضد سيل هادر ينحدر من جبل شديد العلو ، أخد سعيد يشق طريقه بكتفيه وذراعيه وساقيه ورأسه يجره التيار خطوات إلى الوراء ، فيعود ويتقدم مندفعا بشيء من الوحشية "[1].

وما يزيد تأكيد انتماء سعيد إلى هذه الأرض "حيفا" هو أنه على الرغم من تغريبه عنها لم ينساها يوما فبمجرد أن تم فتح بوابة مند ليوم على زيارة حيفا وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الارتباط القوي و الشديد بحيفا، أضف إلى ذلك فسعيد كان – مثله مثل أي فلسطيني – يفتخر بانتمائه ويضحي من أجل وطنه كان شغله الشاغل هو الحديث عن القضية الفلسطينية . في يومياته العادية، في المقهى وفي الحافلات وفي الشوارع ذلك نتيجة الظروف القاسية التي يعانيها الفلسطيني جراء الاحتلال وهذا ما يؤكده المقطع التالي من الرواية " طوال الطريق كان يتكلم، ويتكلم، تحدث إلى زوجته عن كل شيء، عن الحرب وعن الهزيمة... وعن وقف إطلاق النار ، والراديو، ونهب الجنود للأشياء والأثاث ومنع التجول."[2]

يمثل سعيد الحاضر بمتناقضات ، الحاضر الممزق بين الماضي والمستقبل ، فهو شخصية قلقة ممزقة بين ماضي يسعى للاسترجاع أرضه فيه وبين حاضر ليس له في شيء.

ب– صفية: زوجة سعيد وهي بطلة الرواية أيضا إلى جانبه ، هي الأخرى تجسد حقيقة الانتماء إلى الأرض مثلها مثل سعيد تغربت عن مكانها ومقر سكناها ، عن جيرانها وأقاربها وأحبائها في حيفا ، فقد كانت تربطها صلة قوية بهذا المكان، لأنها تركت أعز ما تملك

[1] غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، ص19.

[2] الرواية : ص10

هناك، تركت فلد كبدها وقرة عينها ابنها الذي لم تنساه يوما تظل تبكي على فراقه وتتمنى لقياء، لذلك فإنه بمجرد ما جاءتها الفرصة لزيارة حيفا عزمت مع سعيد بالذهاب إليها علها تحقق ما تتمناه من الله عز وجل وهو رؤية ابنها على قيد الحياة وهذا ما أشارت إليه الرواية الخالدة " إنهم يذهبون إلى كل مكان ألا نذهب إلى حيفا"[1] ، هذا المقطع يدل على الارتباط الدائم بحق العودة والأرض تشد المنتمي .

إن غربة صفية يصنعها المين ألم الترحيل والتهجير قصرا ، وألم أم أجبرت على ترك صغيرها ورائها وصفية ما هي إلا صورة لأم فلسطينية ضحت في سبيل فلسطين. إن أهم مقطع في هذه الرواية يؤكد حقيقة الانتماء إلى الأرض هو قدم صفية وسعيد على رحيلهما من حيفا وخروجهما منها والذي يتجلى في قول غسان كنفاني " بلى ... كان علينا ألا نترك شيئا ، خلدون، والمنزل ، وحيفا[2]، ألم ينتابك ذلك الشعور الرهيب الذي انتابني وأنا أسوق سيارتي في شوارع حيفا". فصفية وسعيد تمنيا لو أنهما ضحيا بنفسهما

وبكل ما يملكان من قوة وصمود بدلا من المغادرة وترك أرضهم لليهود على طبق من ذهب.

ج- فارس اللبدة: فارس اللبدة رجل مسكون بالألم ، و مستعد للموت و الدليل على ذلك الطريقة التي عبر بها مع من يسكن منزله عن أحقيته لهذا البيت فيو مستعد للمواجهة في هذا الزمن بعد أن نجا من الموت زمن الترحيل " وأخيرا انفتح الباب و مد الرجل الطويل القامة ... إلا أن فارس تجاهل الراحة الممدودة، وقال بالهدوء الذي يحمل الهدوء الذي يحمل كل معنى الغضب : جئت أُلقي نظرة على بيتي، هذا المكان الذي تسكنه هو بيتي أنا، ووجودك فيه مهزلة محزنة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح تستطيع أن نطلق علي الرصاص هذه اللحظة، و لكنه بيتي ، وقد انتظرت عشرين سنة لأعود عليه. وإذا... ".[3]

[1] الرواية : ص 23

[2] الرواية : ص 49

[3] الرواية : ص 51

يرى فارس اللبدة أن الموت في فلسطين هو أفضل من الحياة خارجها و هذا ما يدل عليه موقفه بعد إعادته الصورة أخيه إلى ساكن منزله و حمل فارس الصورة معه إلى السيارة و عاد إلى رام الله و كان طوال الطريق ينظر إليها متكلة إلى جانبه على المقعد ..... صار على الطريق المتجه نحو رام الله ، و عندها فقط انتابه شعور مفاجئ بأنه لا يملك الحق في الاحتفاظ بتلك الصورة ولم يستطع أن يفسر الأمر لنفسه إلا أنه طلب من السائق العودة إلى يافا ووصلها في الصباح ، صعد ، صعد السلم مرة أخرى بخطى بطيئة و قرع الباب و قال له و هو يتناول الصورة منه : شعرت بفراغ مروع "[1]

إن الزمن و البعد و الفراق لا ينهي الانتماء إلى الأرض ، كما أن الموتى من حقهم الانتماء أيضا.

د – بدر اللبدة : اخو فارس اللبدة وبدر يمثل قمة الانتماء إلى الأرض أو الوطن ذلك لأنه سبيل وطنه ضحى بنفسه و قدم أكبر هدية للوطن وأكثر شيء يمكن لأي أحد أن يفتخر به وهو الاستشهاد من أجل الوطن، فالتضحية دفاعا عن الوطن تعتبر من أعظم و أسمى المظاهر الدالة على الانتماء إلى الأرض ليس هذا فحسب بل إن بدر ضحى بنفسه واستشهد قبل احتلال الصهاينة لفلسطين، أي عندما احتلت فلسطين من قبل الإنجليز جاء في الرواية أما الآن فقد تغير كل شيء و انخرط بدر في القتال كأنه كان ينتظر ذلك اليوم منذ طفولته... فقد جيء ببدر إلى الدار محمولا على أكتاف رفاقه كان مسلسه مازال في وسطه... وشيعت العجمي جثمان بدر"[2].

ومنذ ذلك الحين صار بدر يضرب به المثل في الشجاعة و القوة و الإخلاص و الفناء للوطن ومن الشخصيات التي تجسد الانتماء أيضا خالد ابن سعيد و صفية هذا الشاب الذي ولد في رام الله و الذي يحلم بالالتحاق بصفوف المقاومة الفلسطينية فهو يمثل الأمل لفلسطين نتيجة إيمانه بالمستقبل و لا يحفل بالماضي لأن لا سبيل إلى التغيير.

[1] الرواية : ص 57

[2] الرواية : ص 53

وإذا نظرنا إلى أسماء أبناء سعيد وصفية تلاحظ أنها تدل على الخلود للوطن وتعزيز الانتماء إليه و أن فلسطين ستبقى خالدة بالرغم مما يمارس في حقها من جرائم . هذا بالنسبة إلى الشخصيات المنتمية.

1-2- الشخصيات اللامنتمية: فتجسدها الشخصيات التالية :

أ- يفرات كوشن: والد لوف بالتبني، وهو رجل جاء من بولونيا إلى حيفا القد وصل إيفرات كوشن إلى حيفا برعاية الوكالة اليهودية "[1] وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن ارتباط اليهود بفلسطين ليس قديما بل حديث مفتعل بسبب الاستيطان فإيفرات كوشن طرد من بولونيا بأمر من النازية الألمانية برعاية هيتلر.

إن علاقة اللاإنتماء عند اليهودي أول دليل يثبت بأنهم لا ينتمون إلى ذلك المكان بل إنهم جاؤوا من أماكن و بلدان مختلفة و فلسطين ليست بلادهم الحقيقية إذن فإيفرات يجسد حقيقة اللاإنتماء إلى فلسطين فوجوده بها هو وجود تحركه المصلحة ، بعد أن فقد ما يملك العذاب الذي مورس عليه في بولونيا.

ب- ميريام : والدة نوف بالتبني وهي زوجة ايفرات كوشن ، والتي جاءت معه من بولونيا بسبب تهجير النازية لهم إلى حيفا ، وشخصية ميريام فرق مابين كونها يهودية وصهيونية، فاليهودية تمثل اعتناق الديانة اليهودية والصهيونية الذي لديه رغبة في الاستلاء على أرض فلسطين وهم جمعية نشأت من وعد بلفور القائم على مبدأ أن فلسطين وطن بلا شعب و ميريام لا تحركها السياسة الصهيونية وإنما اليهودية، ويتجلى ذلك في كون أن ميريام لم تشأ أن تسكن في مكان ليس لها و حيدت العودة إلى بلاده وموطنها"، وحين عاد إيفرات كوشن مع ميريام إلى نزل المهاجرين كانت ميريام قد قررت العودة إلى إيطاليا"[2].

إن ما يؤكد أن ميريام لا تربطها أي علاقة انتماء بفلسطين هو أنه بالرغم من تربيتها للولد الذي وجدته في بيت سعد وصفية في حيفا إلا أنها اعترفت له أنها ليست أمه و أنه ليس ولدها وما يدل على أن ميريام و إيفرات كوشن لا ينتميان إلى فلسطين و أنه سيأتي يوم

[1] الرواية : ص 37

[2] الرواية : ص 43

و يرحلان فيه، هو قولها لسعيد لقد كنت باقتظاركم وإبقائها للبيت كما هو ، فيغير و يعدل بالمكان من يريد الإستقرارية و يشعر بانتمائه إليه لكن ميريام أبقت على كل صغيرة في هذا البيت و كأنها مستعدة للمغادرة في أي لحظة أضف إلى ذلك قدرة الله عز و جل التي تجلت في عدم إنجابهما أولادا في هذه الأرض ذلك لأن الأبناء هم استمرار للآباء، ويقابلهما على الضد تماما صفية وسعيد الذين وهبهما الله تعالى أولادا في حيفا "خلدون" وفي رام الله "خالد" و"خالدة وهذا دليل على أن الولد هو رمز للاستمرارية بالأرض أو الوطن.

هناك تناقض في شخصية ميريام ، فهي ممزقة بين البقاء في فلسطين و العودة إلى بولونيا بين إحساسها بالظلم الذي فرض عليها والظلم الذي تفرضه هي على فلسطين فهذه هي بعض الشخصيات التي تجسد اللاإنتماء لفلسطين.

تبقى لنا شخصية خلدون أو لوف، خلدون بالنسبة إلى والجيه الحقيقيين سعيد و صفية و نوف بالنسبة إلى ميريام و ايفرات كوشن فميريام هي التي ربته ونشأته بعد وفاة إيفرات حتى أصبح شابا في العشرين من عمره، هذه الشخصية التي يمكن أن تطلق عليها هوية جديدة أو هوية مكتسبة لم تعترف لا بصفية أما ولا بسعيد أبا ، فهو لا يعرف من حياته غير أمه ميريام اليهودية ، فهي الوسط الذي عاش فيه ، هوية اكتسبت بفعل التنشئة والمناخ الذي تربى فيه وتعد الشخصية العقدة ، فهو حامل لهوية مركبة البعد التاريخي الموروث (فلسطين)، والبعد المكتسب (إسرائيلي).

وما يزيد على أن خلدون أصبح يهوديا – بمعنى الكلمة – هو أنه صار عسكريا يقاتل في صفوف الجيش الصهيوني ضد العرب.

إن خلدون أو دوف بلوم صفية وسعيد على رحيلهما وتركهما له في ذلك المكان وهو لا يزال طفلا رضيعا في شهره الخامس ، بل كان لابد أن يدافعا عن انتمائهما وهويتهما جاء في الرواية " كان عليكم ألا تخرجوا من حيفا ، وإذا لم يكن ذلك ممكنا فقد كان عليكم بأي ثمن ألا تتركوا طفلا رضيعا في السرير ... أتقولون أن ذلك كان مستحيلا.

لقد مضت عشرون سنة يا سيدي... لو كنت مكانك لحملت السلاح من أجل هذا... لا تقل لي أنكم أمضيتم عشرون سنة تبكون !"[1].

[1] الرواية ، ص 71

لقد أيقن سعيد أنه من المستحيل استرجاع خلدون معلنا هزيمته في تسوية الأمر لأن استعادته مرتبطة باستعادة الوطن وكل ذلك يحتاج إلى معركة وحرب أخرى.

من خلال ما سبق نستنتج أن الهوية هي ما يكتسبه الإنسان وليس ما يرثه .

2- دراسة الفضاء المكاني:

يخضع القضاء الروائي الاستراتيجية تعمق دوره كبنية دالة تتحاور مع باقي البنيات في المستوى الدلالي والجمالي ، وحديثنا عن الفضاء مرتبط بنمو الأحداث وتطورها، وبوجود شخصيات تسيره وفقا لقناعاتها المتباينة

تمثل مدينة "حيفا" القضاء الأكثر بروزا فحضورها يبدأ من العنوان الذي يشكل في حد ذاته بنية من بنيات الرواية ، حيث أستهل الكاتب روايته بدخول "سعيد" إلى أرض الوطن واصفا لنا حزن المدينة، حيث صورها لنا البطل وكأنها شخص يبكي بصمت لفراق الأحبة وهجران الأهل وبذلك أنهوا صفة التواصل معها ، يقول الراوي "حين وصل" سعيد من " إلى مشارف حيفا قادما إليها بسيارته عن طريق القدس (...) ودون أن ينظر إليها كان يعرف أنها أخذة بالبكاء"[1].

فحيفا هي نقطة الارتكاز المكاني داخل الرواية، باعتبارها المكان المركز فمنها كان الخروج وإليها جاءت العودة ، منها أنطلق التهجير وإليها قصد الإستطان.

إن استخدام سعيد الأسماء العربية في تسمية المدن الفلسطينية بدلا من الأسماء التي أطلقها اليهود عليها ، دليل على تمسكه بإنتمائه العربي الفلسطيني فهو على دراية أن تغير أسماء الأماكن ، يعني تغيير لهوية هذه الأماكن.

إن بكاء المدينة الذي تبعه بكاء صفية " الزوجة " يوحي بإزدواجية الإنتماء ، فالمكان "يبكي الفرد، والفرد يبكي المكان ، فعلاقة الانتماء مشتركة بين الشخص ووطنه" إن صفية زوجته تصل الشيء ذاته ، وأنها لذلك تبكي"[2].

[1] غسان كنفاني : رواية عائد إلى حيفا ، ص 9

[2] الرواية : ص 9

وثمة أمر جدير بالملاحظة هو حضور المكان في عناوين الروايات الفلسطينية، كما يتجلى لنا في العنوان الذي حدده غسان لروايته " عائد إلى حيفا " وفيه دعوة الى الالتزام بالمكان الذي شكل إيقاع مميز في الرواية ، حيث سعى سعيد – بطل الرواية – إلى استعادة كل الذكريات التي تحقق وتؤكد انتماء إلى حيفا ، فطوال الطريق كان حديثه حول قضية واحدة شغلت باله كما شغلت بال كل فلسطيني بل كل عربي، إنها هذه الأرض المقدسة التي سلبت من أيديهم وقدمت على طبق من ذهب لسلطات الاستعمارية الصهيونية، والتي حاولت وبكامل قواها سلب روح المكان قبل المكان نفسه من نفس الفلسطينيين "طوال الطريق كان يتكلم ويتكلم تحدث إلى زوجته عن كل شيء، عن الحرب، عن الهزيمة ، وعن بوابة مند اليوم، التي هدمتها الجررات، وعن العدو الذي وصل إلى النهر ، والقناة ومشارف دمشق خلال ساعات ، وعن وقف إطلاق النار، والراديو ، ونهب الجنود للأشياء والأثاث ، ومنع التجول"[1].

لقد كانت بوابة مند لبوم في يوم من الأيام ملكا للفلسطينيين، وقد رمز الكاتب لهذا المكان التعبير عن علاقته وأصالته بنسبة للشعب الفلسطيني، ولكنها سلبت منه وأصبحت ملكا لليهود يدخل من يشاء ويخرج من يشاء، فبالرغم من عمليات خنق التجمعات الحاملة للهوية باعتبارها قضية، وفتح قنوات التهميش والتهجير، إلا أن سعيد بقي مرتبطا بالماضي والتاريخ، كما بقية المكان يسكنه على الرغم من التغيرات التي لحقت به، فالارتباط بالتاريخ والمكان تأكيد على الأصالة والانتماء يقول الراوي "عبر المرج الذي كان اسمه برج بن عامر قبل عشرين سنة، وتتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي، وحين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي انهار الجدار كله (...) ووجد نفسه يقول لزوجته هذه هي حيفا يا صفية"[2].

افتقد الفلسطيني المكان الأصلي لكنه بقي متصلا به من خلال روحه وذكرياته ، فسعيد مازلت نفسه تعيش لحظات حرب 1948، ذلك اليوم المشؤوم الذي طرد فيه الفلسطينيون من

[1] الرواية : ص 10

[2] الرواية : ص 10

أراضيهم إلى أراضي غريبة أشعرتهم بالضياع والحرمان، فسعيد يطرح سؤال يحيره كيف يخرجوننا من ديارنا ثم يسمحون لنا بالعودة إليها؟.

هذه العودة التي أصبح فيها سعيد مجرد ضيف أو زائر، فوجوده في هذا المكان مرتبط بمدة زمنية محددة ، لكن هذا كله كما يرى سعيد ما هو إلا "جزء من حرب"[1]

إن المكان في الضمير الجمعي الفلسطيني مرتبط بالمضامين التي تخلدها الذاكرة ، باعتبارها المحافظ على المكان والتاريخ، هذان القطبان اللذان لا يحققان وجودهما إلا إذا كنا شهودا عليهما لهذا نجد أن المكان لم يغب في نفس سعيد، فه لم يجد صعوبة في تذكر كل الأماكن لأنها تسكن بداخله "وأخدت الأسماء تنهال في رأسه كما لو أنها تنفض عنها طبقة كثيفة من الخبار وادي التنسناس، شارع الملك فيصل الحليصة الهادار ..."[2]

فتذكره لكل هذه القرى والشوارع دلالة على أنه لم يتغير أي شيء فالصهيوني لم يستطع القيام بالتغيير والتبديل لعلمه أنه مجرد دخيل لا ينتمي إلى هذه الأرض الطيبة وليس له الحق فيها " لم يتغير شيء ، كان بوسعنا أن نجعلها أحسن بكثير"[3]. وهذا الشعور طبيعي لأنها لنا، فالإنسان المنتمي إلى وطنه يسعى دائما إلى تطويره وبناء مرافقه على عكس اللامنتمي الذي تبقى هناك دائما هوة بينه وبين المكان.

لقد استطاع سعيد أن يصف لنا المكان بشيء من الدقة ، حيث صورها لنا حتى و كأننا تراها و نعرف ما يجاورها من شوارع وأحياء كما يقول الراوي كان ينعطف بسيارته

عند نهاية شارع الملك فيصل فالشوارع بالنسبة له لم تغير أسماءها بعد) متجها نحو التقاطع الذي ينزل يسارا إلى الميناء"[4].

إن كلام سعيد عن الشارع والميناء ما هو إلا تعبير عن وفائه للأرض التي كان يسكنها فخريطة الأماكن مازالت مرسومة في دهنه ولا يمكن لأحد محوها أو اقتلاعها ، لأن حياة المكان تسكن داخل الفلسطيني .

[1] الرواية : ص 11
[2] الرواية : ص 13
[3] الرواية : ص 12
[4] الرواية : ص 14

كما أن التهجير لم ينسي سعيد وطنه فالماضي مازال يسيطر عليه ، كيف ينسى ذلك التاريخ المشؤوم " كانت السماء نارا تتدفق بأصوات رصاص وقنابل وقصف بعد وقريب، وكأنما

هذه الأصوات نفسها كانت تدفعهم نحو الميناء"[1] . فعلاقة سعيد بذاكرة والتاريخ قوية ومتينة حبه لوطنه لم ينسه الماضي الضائع وبقي يسكنه بالرغم من مرور عشرين سنة فهو يعيد الحدث وكأنه يعيشه مرة أخرى، سنوات من التشتت والحرمان سببها هذا الميناء الذي غادر منه مكرها كبقية الفلسطينيين ودخل عن طريقه الصهاينة فعاد للمزج بين ذاكرتين ، خروج أبناء الوطن الأصليين، واستقبال الدخلاء الذين لا يحق لهم الانتماء إلى هذه الأرض وهذه السماء.

إن ما يؤرق سعيد هو استيلاء العدو الاستعماري على المكان ومحاولة محو هوية سكانه وقضائه على طموح وأحلام شعبه، سعيد كان يريد البقاء في حيفا، رفض المغادرة وتمسك بالعودة من اجل بلده، عكس القارب الذي كان مصمم على الفراق "مثل من يسبح ضد سيل ها در ينحدر من جبل شديد العلو، أخد سعيد يشق طريقه بكتفيه وذراعيه وساقيه ورأسه، يجره التيار خطوات إلى الوراء ، فيعود ويتقدم متدفقا بشيء من الوحشية مثل حيوان طريد يشق طريقا مستحيلا في دغل كثيف متشابك"[2].

لقد حافظ سعيد على كل هذه الذكريات، لأن الذاكرة هي الشاهد الحي على جريمة، اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، فضياع الذاكرة تضييع للتاريخ والمكان وللوطن، لذلك نجد غسان كنفاني قد تعمد ربط الذاكرة بالمكان التأكيد الحفاظ على الماضي باعتباره سلاح الشعب الفلسطيني لدفاع عن قضيته وبلاده، فغياب ذاكرة الوطن وذاكرة المكان تفضي إلى محو القضية برمتها لقد كان الحنين للمنزل الأول كبير لدى سعيد وصفية ، فالذين رأو فلسطين وعايشوها لم يستطيعوا أن يخرجوها منهم ، فكانوا كسلحفاة التي تحمل بينها معها

[1] الرواية : ص 18

[2] الرواية : ص 19

أينما تسير " فجأة اطل المنزل ، المنزل ذاته ذلك الذي عاش فيه ، ثم عيشه في ذاكرته طويلا، وها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر"[1].

أن المنزل لم يتغير فلسطين بقيت كما تركها الزوجان منذ عشرين سنة ، لم يقم العدو بأي تبديل لغياب الصلة التي تربطه بهذه الأرض ، على الرغم من أنها أصبحت ملكا لهم.

إن علاقة سعيد بالمكان علاقة جوهرية ، لا تكمن أهميتها في الاسم فقط فهو يتذكر كل الأحداث التي جرت بالتفصيل ، فالأماكن تتهاطل في ذاكرته كما لو انه لم يرحل عنها أبدا، فتذكره العفوي هذا يؤكد أصالة انتماءه إلى المكان ، في المقابل نجد علاقة الإسرائيلي بالمكان علاقة سطحية، فهو لا يملك ذاكرة ولا تاريخ تذكره بقيمة هذه الأماكن ، يردد أسماءها نتيجة التكرار اليومي لا حسب " إفرات يعرف على وجه التحديد مواقع هذه الأماكن التي حفظ أسماءها من فرط التكرار"[2]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غياب الانتماء إلى هذه الأماكن لدى الإسرائيلي.

إن ارتباط اليهود بالمكان الفلسطيني ليس قديم بل حديث مفتعل ، بسبب الإستطان حيث " وصل إفرات كوشن إلى حيفا برعاية الوكالة اليهودية قادما مع زوجته من ميناء ميلانو الايطالي في وقت مبكر من شهر آذار، كان قد غادر وارسو مع قافلة صغيرة في أوائل تشرين الثاني من عام 1947، واسكن في منزل مؤقت يقع في ضواحي ذلك المرفأ الإيطالي"[3].

إن شعور الإسرائيلي بلا انتماء إلى الأرض المقدسة ، جعلت الكثير منهم يفكر بالعودة من حيث جاءوا، فهذه مريام زوجه افرات كوشن رفضت البقاء " حين عاد افرات كوشن مع مريام إلى نزل المهاجرين كانت مريام قد قررت العودة إلى إيطاليا ولكنها لم تفلح طوال تلك الليلة ، ولا في الأيام القليلة التي أعقبت ذلك اليوم ، في إقناع زوجها بذلك"[4] ، فالشخصية الصهيونية تتصف بإحساس حاد بالعزلة ، وعززوا هذا الإحساس حتى أصبح بالنسبة لهم

[1] الرواية : ص 28
[2] الرواية : ص 41/40
[3] الرواية : ص 38/37
[4] الرواية : ص 43

حقيقة نفسية، قمريام على يقين إن هذه الأرض ليس لليهود، فهم لم يولدو فيها ولا يتحدثوا لغتها بل إنها ارض للفلسطينيين، لان التاريخ شاهد على انتماءهم إلى هذا الوطن .

ان اهتمام غسان كنفاني في روايته هذه باستعادة صورة الوطن المسلوب تجسدت من خلال تجربة سعيد في المنفى، بما تعنيه من تهجير شعب وقيام دولة مستعمرة على لشلاله، جعلت الخطاب الروائي برمته يقوم على الإحساس المؤلم بفقدان المكان، من خلال قول الراوي على لسان سعيد عندما أحس بلا انتماء إلى المكان الذي عاش فيه أحلى أيامه " " كنت اشعر أنني اعرفها وأنها تتكرني، وجاءني الشعور ذاته وأنا في البيت ، هنا هذا بيتنا هل تتصورين ذلك ؟ قه يذكرنا! ألا ينتابك هذا الشعور"[1].

إن حب الوطن والإيمان المطلق بحق الشعوب المضطهدة في الانتماء إلى الأرض الفلسطينية هذا ما دفع سعيد بممارسة نشاطه السياسي إزاء قضيته الوطنية عن طريق الحوار وتبادل المعلومات كما يتجلى في النص الروائي بين سعيد وصفية في سؤالها عن حقيقة ومفهوم الوطن سال نفسه فجأة : ماهو الوطن؟ (...) كانت صفية تنظر إليه قلقة(...) وعندها فقط خطر له أن يشاركها في الأمر فسألها ، ما هو الوطن اهو هذان المقعدان اللذان ظلا في هذه الغرفة عشرين سنة؟ الطاولة؟ ريش الطاووس؟ صورة القدس على الجدار؟ (...) ما هو الوطن؟ خلدون؟ أوهامنا عنه؟ الأبوة ؟ البنوة؟ ما هو الوطن؟ (...) أنني أسال فقط"[2].

أمام فشل سعيد في استرجاع ما هو مفقود قرر قطع صلته بالماضي الأليم ، والتطلع إلى المستقبل الذي يرى فيه الملاذ لمواساة نفسه وتحقيق أماله، لهذا فقد أصبح يرى أن فلسطين " أكثر من ذاكرة أكثر من ريشة طاووس أكثر من ولد"[3].

[1] الرواية : ص 49

[2] الرواية : ص 70

[3] الرواية : ص 74

وما يمكن جمعه من التحليل السابق هو أن مفهوم الفضاء لدى سعيد ينهض على أساس التناقض بين ما كان وما هو كائن ، أي بين حلم الوطن وحقيقة المنفى فسعيد علل حبه لأرضه وأبناء وطنه بالذاكرة المتوارثة .

3- الفضاء الزماني.

بعد الزمن أحد المفاهيم الفلسفية التي أولاها كثير من الفلاسفة، و المفكرين و النقاد اهتماما خاصا، قصد الكشف عن كنه هذه الظاهرة التي لا لون لها ولا شكل.

فبعد دراستنا للشخصيات و المكان في هذه الرواية سنحاول الآن معاينة تجلي البعد الزمني في هذه الرواية التي جعلناها مدار تحليلنا في هذا البحث.

3-1- الزمن الماضي:

تصور لنا " عائد إلى حيفا" حكاية أبوين أرهقهما الماضي التعيس الذي تركاه وراءهما، لكنهما لا يزالان مرتبطان به، رغم الجروح التي تكبدهما، إنها ما زلا منتميان إلى حيفا رغم السنين الطويلة منذ تلك النكبة التي جردتهما من الحياة، من البيت الذي كانا يعيشان فيه، من حيفا. و لكن رغم ذلك فهما ما زالا مرتبطان بماضيهما وبأصالتهما وبحيفا. و لعل ذلك ما جسده غسان الكنفاني في هذه الرواية يقول: «ظهر يوم الثلاثين من حزيران 1948، كانت سيارة "الفيات" الرمادية التي تحمل رقما أردنيا أبيض نحو الشمال ... قبل عشرين سنة »[1]

بعد دراستنا للشخصيات و السكان في هذه الرواية بالتحليل و التمحيص ، سنحاول الآن معاينة تجلي البعد الزمني في هذه الرواية التي جعلناها مدار تحليلنا في هذا البحث.

سعيد وصفية يعيشان في معاناة و ألام ترسبت في أعماقهما، فلم يجدا ملاذا برجعان إليه، سوى ذكريات محفورة في الذاكرة نقشتها السنين الطويلة على مدار عشرين سنة.

وتتكرر الصورة التي تؤكد الارتباط بالماضي من خلال قول الروائي «وفجأة جاء الماضي حاد مثل سكين»[2].

---

[1] الرواية : ص 10

[2] الرواية : ص 14

فالزمن من الماضي يسيطر على ذاكرة سعيد، فهو يعيش معه في كل لقمة أكلها وفي كل كوخ عاش فيه، إنه ماض جاء حاد مثل سكين ، ماض سعيد هو ماض مؤلم، و فعل الاستلاب هو الذي أثر في نفسه، استلاب كل شيء يملكه أرضه و موطنه و ابنه.

إن الماضي بالنسبة السعيد يمثل حملا و عبئا ثقيلا على عائق سعيد ، إنه ماض ترك وراءه طفلا بريئا صغيرا «وعندها فقط تذكر خلدون الصغير، ابنه الذي أتم في ذلك اليوم بالذات شهره الخامس ... وافتابه فجأة قلق غامض ... حتى في هذه اللحظات التي تبعد عشرين سنة عن المرة الأولى التي حدث فيها ذلك».[1]

3-2- الزمن الحاضر:

الحاضر يمثل الانكسار والاضطراب بالنسبة لصفية و سعيد، فالحاضر ما هو إلا أصل و انتماء مع الطرف الآخر (العدو)، إنه الماضي والحاضر المسروق، ذلك ما يجده

يجده سعيد في منزله الذي أخرج منه ، ابنه خلدون أصبح جنديا في الجيش الصهيوني و اسمه نوف ، ابن الأرض يقاتل مع محتل الأرض ، تلك هي صدمة التاريخ القائم والحاضر المنكسر.

إن الزمن يتقلص لدى سعيد بمجرد العودة إلى حيفا ، إنها عشرون سنة و هو يريد العودة إلى حيفا، غير أنه كل مدة كان مترددا، فهو يعرف أن ابنه دوف أصبح يهوديا . كان قبل أسبوع يؤكد لزوجته أن العودة مستحيلة ، غير أنه في مجرد أسبوع وجد نفسه في حيفا « لقد تضاءلت العشرون سنة من الغياب ، وها هي الأمور تعود فجأة عودة لا تصدق »[2]

إن الحاضر يمثل عودة سعيد إلى حيفا ، ابنه بمجرد دخوله إلى مشارفها كانت السماء غاضبة على الوضعية التي آلت إليها فلسطين ، بفعل الصهاينة الذين دمروها ، ولم يتركوا فيها أي شيء ، فقد أصبحت هباء منثورا، إن السماء تعبر عن غضب الله سبحانه وتعالى

[1] الرواية : ص 17

[2] غسان كنفاني : رواية عائد إلى حيفا ، ص 23

على معصية البشر، يقول الروائي: « تماما كما كان الإسفلت يشتعل تحت عجلات سيارته، وفوقه كانت الشمس، شمس حزيران الرهيب تصب قار غضبها على الأرض»[1].

إن الحاضر بالنسبة الصفية وسعيد هو زمن الضياع والاضطراب والتشتت الناتج عن الاستقطاب الذي يعيشانه بين قطبين "لوف" الماضي التقبل، و"خالد" المستقبل، ففي لحظة واحدة عرف سعيد بأنه يقف كعائق في سبيل حرية فلسطين نتيجة تمسكه بالماضي الذي ضاع وشوء، وتضييعه للمستقبل الذي يمثل الأمل في الانعتاق، سعيد أهدر عشرون سنة للبحث عن طفل تحول إلى عدو، وأهدر الحاضر في صد الطفل التقي في سبيل المقاومة.

3-3- الزمن المستقبل:

أمام هزيمة سعيد بمواجهة دوف، و بمواجهة القناعات الجديدة ، لم يجد ما يدافع به عن نفسه سوى اللجوء إلى ابنه " خالد " هذا الابن الذي لم يشأ سعيد أن يتركه يلتحق يصفوف الفدائيين قبل الذهاب إلى حيفا ومقابلة خلدون ، فخلدون قلب الموازين، و أصبح الشيء المرفوض من قبل مستحب اليوم لدى سعيد.

إن المستقبل الآن – بالنسبة لصفية و سعيد – يصبح ابنهما خالد، هذا الطفل الذي لطالما أراد دائها أن يلتحق بصفوف المقاومة لتحرير الوطن، إنه يمثل روح الإنشاء، فقد فضل التضحية و الموت في سبيل تخليص فلسطين من أيادي الصهاينة يبقى مكتوف الأيدي منتظرا الفرج من بديل ، فالوطن بالنسبة لخالد هو المستقبل " أما خالد فالوطن عنده هو المستقبل ... وهكذا أراد خالد أن يحمل السلاح"[2].

إن المستقبل يمثل تخلي صفية و سعيد عم انتمائهما إلى الماضي، الذي يمثل خلدون إن خلدون أصبح الآن دوف، لقد أصبح عارا، بل تشيئا بالمستقبل الذي يمثله خالد ، فهو شرفهما و انتماؤهما الباقي و المستمر " إن دوف هو عارنا، ولكن خالد هو شرفنا "[3]

[1] الرواية : ص 10

[2] الرواية : ص 75

[3] الرواية : ص 75

من خلال ما سبق نستنتج أن الزمن الماضي في هذه الرواية. يمثل خلدون، وهو النقل، والحاضر هو اضطراب بالنسبة لصفية وسعيد ، أما المستقبل فهو الأمل الذي يجسده خالد.

4- الأشياء:

تعتبر الأشياء أيضا من العناصر المهمة التي تؤكد قوة الانتماء والارتباط إلى الأرض الفلسطينية في هذه الرواية التي جعلناها محط اهتمامنا و تحليلنا.

فبدخول سعيد إلى حيفا والانتقال فيها شارعا شارعا، وقرية قرية، ، لاحظ أنه لم يتغير أي شيء فيها، حيث بقيت كما هي، ولعل هذا ما يؤكد اللاإنتماء اليهودي إلى فلسطين.

والغريب في الأمر أن الأشياء هي الأخرى لم تتغير فبمجرد وصول سعيد إلى منزله القديم في الخليصة، اندهش واستغرب لبقاء كل شيء على حاله، « الدرج... إقرانه الجرس، ولا قطة الباب النحاسية، خريشات أقلام الرصاص على الحائط، صندوق الكهرباء، الدرج الرابع المكسور من وسطها»[1].

كل هذه الأشياء الصغيرة هي الأخرى لم تتغير على الرغم من مرور عشرون سنة، وهذا دليل أن اليهودي لم يضف أي شيء بل أنقص وعند دخول سعيد إلى المنزل أخد يتأمل فيه بلهفة و شوق ووجده كذلك على حاله، فالديكور بقي عربي قديم لم يتغير.

إن مريام اليهودية لم تستطع تبديل أي شيء، ففي قرارة نفسها كانت تعلم بأنها لا تنتمي إلى هذا المكان. "صورة القدس بتذكرها جيدا، ما تزال معلقة، حيث كانت.... وعلى الجدار المقابل سجادة شامية صغيرة كانت هناك أيضا"[2]

ان تذكر سعيد لكل هذه التفاصيل ما هو إلا تعبير عن قوة ارتباطه بهذا المكان. واصل سعيد تأمله المنزل ، وحين صدار في غرفة الجلوس رأى أن كل شيء بقي على ما كان عليه، والذي لم يتغير نقص " فقد استطاع أن يرى أن مقعدين من أصل خمسة مقاعد هما من الطقم الذي كان له أما المقاعد الثلاثة الأخرى فقد كانت جديدة".[3]

---

[1] الرواية ، ص 29

[2] الرواية ، ص 31

[3] الرواية ، ص 31

ومن الأشياء التي لم تتغير أيضاء الطاولة، فقد بقيت نفسها، أما ريشات الطاووس فقد نقص عندها من سبعة إلى خمسة، فسعيد لم ير أي زيادة بل رأى نقصان ، و هذا دليل على أن اليهودي غير منتمي.

أما الشيء الأهم الذي يؤكد الانتماء في الرواية هي صورة « بدر اللبدة » فالصورة للبقاء و الانتماء ورمز الفلسطينيين فيجرد أن انتزعت الصورة من المكان الذي كانت موجودة فيه، منذ عشرين سنة أصبح ذلك المكان لا معنى له، بل يشبه فراغا مغلقا، و يقول في ذلك الراوي معبرا عن شعور الرجل الذي سكن دار فارس اللبدة، حين تخلى عن الصورة شعرت بفراغ مروع حيث نظرت إلى ذلك المستطيل الذي خلفته على الحائط، وقد بكيت زوجتي بذهول أدهشني، لقد ندمت لأني سمحت لك بارتداد الصورة، ففي نهاية المطاف هذا الرجل لنا نحن".[1]

فالصورة هي رمز من رموز الوطن وهي الرافد الوحيد الذي يربط الأفراد به، فالموتى من حقهم أيضا الانتماء إلى هذه الأرض، فغسان كنفاني هنا برى أن الأشياء أيضا من حقها البقاء في فلسطين بل هي التي تحفظ للفلسطيني انتماءه لهذه الأرض. من خلال ما تقدم نستنتج أن الأشياء بالنسبة لسعيد هي الأخرى تعبر عن الانتساب و الانتماء إلى الموطن و الأرض.

من خلال دراستنا لرواية غسان كنفاني « عائد إلى حيف » و من خلال تحليلنا للشخصيات المجسدة في الرواية، وكذا القضاء والمكان والزمان والأشياء، تأكد لنا مدى ارتباط الإنسان العربي الفلسطيني بوطنه، فقد احتفظت هذه الرواية بصورة الأرض في ذاكرة الإنسان الفلسطيني، حيث سجل اقتسابه إلى فلسطين بالشواهد التاريخية كدليل على حقه في الانتماء، فالانتماء مرتبط بالهوية التي يراها البعض ماضيا والبعض الآخر مستقبلا، لكن تبقى جملة سمات و خصائص تصنع انتماء الإنسان إلى جماعة أو وطن ما.

[1] الرواية ، ص 57

خاتمة

خاتمة:

بحثنا هذا حول الانتماء في الرواية الفلسطينية، دراسة نظرية تطبيقية، نظرية من حيث الخوض والتوسع في المفاهيم، وتطبيقه من حيث تناولنا للجانب التحليلي والوصفي للرواية. ولسنا ندعي أن موضوعنا جديد من حيث تناوله لفلسطين، فلسطين كانت دائما محل دراسات كثيرة ومتعددة.

لقد توصلنا في هذا البحث المتواضع إلى أن الأدب الفلسطيني يعتبر من الأجناس الأدبية التي صورت الواقع الفلسطيني، سواء في فلسطين أو في مناطق أخرى من الشتات، كما أن هذا الأدب مر بجملة من المراحل، وفي كل مرحلة كان الأديب هو لسان حال الشعب الفلسطيني إذ لاحظنا مدى ارتباط والتزام الأدباء بقضيتهم الأولى، معبرين عن أمال وأحلام الشعب في الحرية والاستقلال.

كما توصلنا في هذا البحث أن الانتماء سمة إنسانية، يسعى الإنسان إلى تحقيقها لتأكيد هويته ووجوده بانتسابه إلى وطن يعنيه. كما أن الانتماء يختلف من فرد إلى آخر بحسب الظروف الاجتماعية المحيطة بها، وهو بالنسبة لأي شعب كان ومازال يعتبر من أهم ما يؤكد وجوده وأحقيته في الأرض، وهذا ما جسده الروائي الفلسطيني غسان كنفاني في الكثير من محطات مسيرته الأدبية والتي من بينها رواية عائد إلى حيفا" والتي تعتبر شكل من أشكال المقاومة، والتي عبرت أيضا عن الروح والذات الفلسطينية من أجل التصدي للاحتلال.

قائمة المصادر والمراجع

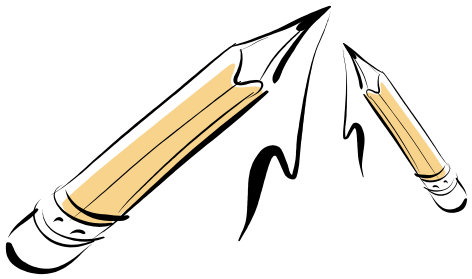

- **القرآن الكريم.**

- **المصادر:**

1. غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية.

- **المراجع:**

2. ابن دريد محمد بن الحسن: " جمهرة اللغة، ط1، نشر كونكو، 1987م.

3. أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، مكتبة لبنان، بيروت ، 1978، ط1.

4. اعبد اللطيف محمد خليفة: " دراسات في سيكولوجية الإغتراب، ط1، دار غريب، القاهرة، 2003م.

5. البشير إبريز تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007، ط 1.

6. الجاحظ، ابوعثمان عمرو بن بحر الحقين إلى الأوطان"، ط2، دار الرائد العربي، سروت، 1982م.

7. الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، 2007م.

8. جمال الدين محمد ابن مكرم، ابن منظور: "لسان العرب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.

9. جورج جبور: " العروبة ومظاهر الانتماء الأخرى"، تطل منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1976.

10. حسام سويلم: " الانتماء الوطني"، مقال مجلة العربي، العدد 446، الكويت.

11. حسين جمعة ظاهرة الانتماء، مجلة التراث العربي، العدد 32 يوليو 1988م.

12. حسين سليمان : الطريق إلى النص : مقالات في الرواية الفلسطينية، إتحاد كتاب العرب، دمشق ، 1997.

13. ديب أبو لطيف: الوعي والانتماء"، نط مطبعة الصباح، دمشق، 1982م.

14. رفيقة البحوري : الأدب الروائي عند غسان كنفاني ، دار التقدم ، تونس ، 1982 ، ط 1 .

15. صابر عبد الباقي : مفهوم الإنتماء ، كلية الآداب جامعة المانيا.

16. عبد الرحمان أحمد عبد الله القصيحة مستوى اكتساب بعض المفاهيم التاريخية الفلسطينية لدى طلبة الصف التاسع أساسي وعلاقته بانتمائهم الوطني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية غزة 2000م.

17. عبد العزيز الحبابي الشخصية الإسلامية دول دار المعارف، مصر، 1969م.

18. عبد القادر القطط الأدب العربي الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، 2001.

19. عبد الله محمد خليفة : مقياس الإغتراب ، دار غريب ، القاهرة ، 2006.

20. عفترة الحمي الديوان، تح حمدو طماس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

21. علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، تح محمد عبده، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1996م، ج4.

22. عمر بن أبي ربيعة الديوان، تج: محمد محي الدين عبد الحميد بطل القاهرة، 1965م.

23. غسان كنفاني : أم سعد ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ، 1980.

24. غسان كنفاني : رجال في الشمس ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1983، ط 3.

25. فاروق أحمد سليم: " الانتماء في الشعر الجاهلي"، نط منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.

26. لويس معلوف ، المنجد في اللغة والإعلام، نط، دار المشرق لبنان 1968م، ص 200، مادة نمى

27. المانويل موتيه: " الشخصانية، تر : تيسير شيخ الأرض، نط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1958م.

28. محمد عبد المنعم: " الغربة والحنين إلى الديار" في شعر العصر العباسي الثاني مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الخليل، كلية الدراسات العلياء ، 2006م.

29. محمد فؤاد سلطان : قصة رجال في الشمس – دراسة نقدية – ، مجلة جامعة الأقصى فلسطين ، 2007 ، مجلد 11 ، العدد 2.

30. المرؤ القيس الديوان، تح: أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار المعارف، مصر، 1984م.

31. مصطفى حجازي: التنظف الإجتماعي، طك، معهد الانماء العربي، بيروت، 1989م.

32. مصطفى عبد الغني : الاتجاه القومي في الرواية، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، 1984.

33. منير سغريني : " الشخصانية الإسلامية"، نط، دار المعارف، مصر، 1969م.

34. نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري ، دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر القاهرة ، 1999.

35. يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي، دار القرابي، بيروت، 1990م، ط1،.

فهرس المحتويات

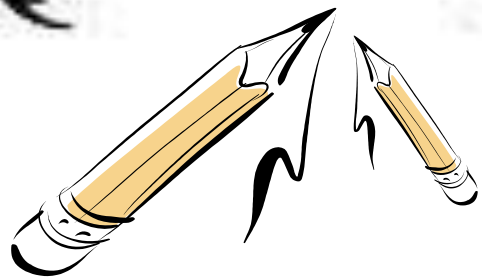

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: ضبط المفاهيم والمصطلحات	
أولا: مفهوم الانتماء	04
ثانيا: أنواع الانتماء	06
ثالثا: مظاهر الانتماء	08
رابعا: عناصر الانتماء	15
خامسا: مظاهر الانتماء	18
الفصل الثاني: صورة الانتماء في رواية عائد إلى حيفاء	
أولا: تعريف غسان كنفاني	22
ثانيا: أهم المحطات الأدبية الكبرى لغسان كنفاني	23
ثالثا: تلخيص رواية غسان كنفاني «عائد إلى حيفا»	27
رابعا: تحليل الرواية	29
1- دراسة الشخصيات	29
2- دراسة الفضاء المكاني	35
3- الفضاء الزماني	41
4- الأشياء	44
خاتمة	47
قائمة المصادر والمراجع	49
ملخص	

ملخص:

من هذا البحث المعنون بـ: **الانتماء في الرواية الفلسطينية رواية "عائد إلى حيفا" لـ: غسان كنفاني أنموذجا**"، نحاول من خلاله الوقوف عند تمظهرات الإنتماء في الرواية، وقد اعتمدنا على المنهج الاجتماعي باعتبار الدراسة قد ركزنا على موضوع الانتماء الذي يعد ظاهرة اجتماعية، إضافة إلى الاستعانة بالمنهج التاريخي مستخدمين آليتي التحليل والوصف.

قسمنا بحثنا إلى فصلين، مسبوقين بمقدمة، ثم خاتمة.

جاء **الفصل الأول** المعنون بـ: "**ضبط المفاهيم والمصطلحات**" تطرقنا إلى اشكالية مصطلح الانتماء لغة واصطلاحًا، ثم حددنا أنواعه من الوطني والسياسي، الديني والنفسي والفلسفي كما تحدثنا عن أهم مظاهره المتمثلة في الحب والحنين إلى الأوطان والاغتراب.

وأما **الفصل الثاني** المعنون بـ: "**صورة الانتماء في رواية عائد إلى حيفاء**"، فقد كان تطبيقيا، وفيه حاولنا أن نبرز أهم تمظهرات الانتماء وأنواعه في الرواية المذكورة وأعقبنا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج حول هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الانتماء – الشخصيات – الفضاء الزماني – الفضاء المكاني.

Abstract:

From this research entitled: Belonging in the Palestinian Novel, the novel "Returning to Haifa" by: Ghassan Kanafani is a model, through which we try to examine the manifestations of belonging in the novel, and we have relied on the social approach, given that the study has focused on the topic of belonging, which is a social phenomenon. In addition to using the historical approach, using analysis and description mechanisms.

We divided our research into two chapters, preceded by an introduction and then a conclusion.

In the first chapter, entitled: "Control of Concepts and Terminology," we addressed the problem of the term "belonging" linguistically and terminologically. Then we identified its types, including national, political, religious, psychological, and philosophical. We also talked about its most important manifestations of love, longing for homelands, and estrangement.

As for the second chapter, entitled: "The Image of Belonging in the Novel Returning to Haifa," it was applied, and in it we tried to highlight the most important manifestations of belonging and its types in the aforementioned novel, and we followed our research with a conclusion that included the most important results of this study.

Keywords: belonging - personalities - temporal space - spatial space.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد بشيري صبرينة الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 204243026 الصادرة عن المسيلة بتاريخ 2019/02/18

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه الانتماء في الرواية الفلسطينية رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني "أنموذجا"

تحت إشراف الأستاذ معمري عبد الكريم

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ 2024/06/11

التوقيع ..

مصادقة البلدية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد بشيري حكيمة الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 319698 الصادرة عن المسيلة بتاريخ 2015_12_16

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه الانتماء في الرواية الفلسطينية رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني أنموذجا

تحت إشراف الأستاذ معمري عبد الكريم

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ 2024/06/11 التوقيع BACHIR

مصادقة البلدية